دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

شَعيرةُ الحَجّ عند اللّيبيين خلال العُصُور الإسلامية
دراسة تاريخية

د. رمضان محمد رمضان الأحمر
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة بنغازي – دولة ليبيا

مُلَخّص

اعْتَنَى اللّيبيون بشَعيرة الحَجّ منذ أنْ استقر الإسلام بأرضهم، وظَهَرت ملامح ذلك الاهتمام منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلاد، برحلة بعض العلماء لأداء فريضة الحَجّ وفي الوقت نفسه لطَلب العلم وتحصيله. ومنذ ذلك الوقت تزايدت أعداد الحُجَّاج اللّيبيين على مَرّ العُصُور وأصبحت أركاب حَجّهم أكثر وضوحًا وتنظيمًا ولا سيّما خلال الحُكم القَرمانَلّي. وقد هدف هذا البحث إلى معرفة تاريخ الحَجّ الليبيّ خلال العُصُور الإسلامية وهيئته، من خلال طرح موضوعات تُوَضّح كيفية استعدادات الليبيين لاستقبال مَوسم الحَجّ، وطُرُق مَسير قوافلهم إلى الحجاز، وانعكاسات رحلات الحَجّ على المجتمع الليبي. وباستخدام المنهج التاريخي الاسترادي، الْمَبْني على استقراء النُّصُوص ومقارنتها، واستنباط مَعانيها وتحليلها، تَوَصَّلت الدراسة إلى أنَّ الليبيين عامة كانوا قد اعْتَنوا اعتناءً كبيرًا بشَعيرة الحَجّ، وقد تَجَلَّى ذلك في طريقة معاملتهم لحُجَّاج بيت الله الحرام من الليبيين خاصةً والمغاربة عامة، حتى أنهم أضفوا عليهم هالة من الروحانية والتقديس، جعلتهم يَرغبون في دُعَائهم ويَستجلبون بركتهم من خلال حُسن ضيافتهم وإكرامهم. الأمر الذي أَصَّلَ عند الليبيين الصّفات الإسلامية الحميدة، المتمثلة في الطيبة والكرم والجود والعطاء وغيرها من مَكارم الأخلاق، وهذه كانت إحدى انعكاسات رحلات الحَجّ على المجتمع الليبي، إلى جانب آثارها الدينية والعلمية المفيدة، وفوائدها الاقتصادية على البلاد.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١١ يوليو ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٥ أغسطس ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

الحجُّ، الحُجّاج الليبيون، قافلة، رَكْب، الحرمان الشريفان.

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.372954

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

رمضان محمد رمضان الأحمر، "شَعيرةُ الحجّ عند اللّيبيين خلال العُصُور الإسلامية: دراسة تاريخية".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الخامس والستون: سبتمبر ٢٠٢٤. ص ٨٣ – ١٠٥.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: r.alahmer@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]. من هذا الأساس والمنطلق، تُعَدُّ فريضة الحَجّ في الإسلام من أهم الأسباب والدوافع التي جعلت مئات الآلاف من المسلمين على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم للقدوم كل سنة إلى الأراضي المقدسة وزيارة الحرمين الشريفين؛ تجسيدًا للآية الكريمة لأداء فريضة الحَجّ، مُتَحَدّين في ذلك كل المصاعب والأخطار جَرّاء السَّفر المتعب، الذي يكون في الغالب على البَرّ خلال القرون الإسلامية الأولى والوسطى، ويأخذ من الحُجَّاج من سنة إلى عدة سنوات من التَّرَحُّل حسب الجهة التي وفد منها الحاج. وفي هذه الرحلات يجتمع الحُجَّاج – على عادتهم– في جماعات ضمن رَكْب وحيد أو في قافلة من عدة أركاب، تَعبر الأراضي المختلفة من حواضر وقرى وصَحارَى، وما فيها من طرق ومَسالكَ صَعبة، ونَقص في المياه والطعام، إلى جانب انعدام خاصية الأمن والأمان في زمن انعدم فيه سُلطان الدولة الحديثة[2].

وليبيا منذ أنْ دخلها الإسلام وانتشر بين سكانها خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، أصبح لزامًا على المسلمين فيها –دأبهم دأب جميع مُسْلمي العالم– الحَجُّ إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً. وهم في ذلك مثلهم مثل غيرهم من الحَجيج المغربي أصبحوا يَتنادون للرحلة إلى الحجاز فُرَادَى أو جماعات، في ركب صغير أو صُحبة قوافل مغربية كبيرة، لأداء هذه الشّعيرة يُناديهم الشَّوق إلى بيت الله الحرام، والحنين لزيارة قبر رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد جَسَّدت رحلات الحَجّ الليبية هذه حالة الحاج المغاربي وهو يرتحل إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة واجبة عليه، وتلبية لنداء الرحمن وتَوبة وتطهيرًا للنفس من الذنوب. وهي في الوقت نفسه تُعَدُّ لأهل العلم –من الطلبة والمشايخ والفقهاء– فرصة للزيادة في العلم، والاستفادة والاستماع والأخذ عن رجالات العلم والفقه والحديث، الذين يلتقون بهم في محطات طريقهم إلى الحجاز أو الآخرين الذين يجدونهم هناك.

وعلى ما يكون، وعلى ضوء ما سبق، فإنَّ بحثنا هذا الذي عنوناه بـ: "شَعيرة الحَجّ عند اللّيبيين خلال العصور الإسلامية": (دراسة تاريخية) يهدف إلى استرجاع الذاكرة التاريخية –من خلال استقراء النصوص التاريخية وفهمها وتحليلها ثم صياغتها وسردها – للتوضيح والإجابة على بعض التساؤلات عن عدة موضوعات على النحو الآتي:

١. كيف كانت استعدادات الليبيين لأداء فريضة الحج؟

٢. ما الوسائل والطّرق التي استخدمها الحُجَّاج الليبيون في مَسيرهم إلى الحَج؟

٣. كيف كانت انعكاسات رحلات الحَجّ وآثارها على المجتمع الليبي؟

ولكَي تصل هذه الدراسة إلى الأهداف المطلوبة منها، استخدمنا في كتابتها المنهج التاريخي الاسترادي، الذي يعتمد على السَّرد من ناحية وعلى القياس والتحليل والاستنباط من نواح أخرى. إلى جانب المنهج الاستقرائي والمنهج المقارن، وكل ذلك استنادًا إلى ما حَصلنا عليه من مادة تاريخية مستقاة من المصادر الأصيلة. وبفضل استخدام هذه المناهج انتهى البحث –بإذن الله تعالى– بخاتمة فيها حوصلة لمَا في الدراسة من خُلَاصة، ونتائج.

مدخل

لم يَستقر الفتح الإسلامي في بلاد المغرب عامةً –بما فيها ليبيا– إلا في أواخر القرن (الأول الهجري/ السابع الميلادي)، بعد سنين طويلة وغزوات كثيرة قَدَّمَت فيها الجيوش العربية آلاف الآلاف من الشهداء، وشهدت ملاحم عظمى، كما عاينت صَولات وجَولات من الكَرّ والفَرّ مع الروم من جهة وسكان المغرب من البربر من جهة أخرى. وبطبيعة الحال بعد استقرار الإسلام وانتشاره بين سكان ليبيا خصوصًا وبلاد المغرب عمومًا، أنْ ظهر فيها جيل من المسلمين لم يكتفوا بما لديهم من علوم إسلامية جاءتهم مع الفاتحين، بل رغبوا في الاستزادة والنهل من مَعينها الأصلي، لذلك شَدُّوا الرحال شرقًا وصولاً إلى الحجاز في رحلات حَجّ لتحقيق الغايتين: الحَجّ وطلب العلم.

ومنذ القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) أخذ ثُلَّة من طلبة العلم الليبيين في الحَجّ إلى بيت الله الحرام

لبُلُوغ الْمَقصدَين، كان من أوائلهم علي بن زياد العبسي الطرابلسي (ت: ١٨٣ه/٧٩٩م)، الذي كان تلميذًا للإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ه/٧٩٥م)، ويُعَدُّ أول من أدخل مُوَطَّأه إلى إفريقية، ومحمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي (مجهول الوفاة)، وكان -هو الآخر- تلميذًا لمالك وقد سَمِعَ منه مُوَطَّأه[٣]، وغيرهم الكثير. وهؤلاء قد يكون منهم من سافر وحيدًا للحَجّ، ومنهم من كان في جماعة. على أنَّ الكثيرين منهم كانوا يذهبون رفقة أركاب الحَجّ المغربية (من فاس أو مراكش أو تونس أو بلاد الجريد)، وينضمون إليها عند نزولها في البلاد الليبية، للراحة والتزود بالمؤن المختلفة وهي في طريقها إلى الحجاز، ولاسيما عند نزولها في طرابلس حاضرة البلاد، كونها محطة رئيسة للحجاج المغاربة، لا يستطيعون إتمام طريقهم إلى مصر ومنها للحجاز دون النزول فيها وأخذ مَؤُونتهم منها واستبدال دوابهم فيها، وذلك قبل عبورهم صحراء برقة وفيافيها المجدبة، التي كانت مَضرب مَثَل الحُجَّاج المغاربة في مَشاق السَّفر ومراراته[٤].

وعلى ما يكون فإن الحُجَّاج الليبيين في القرون الإسلامية الأولى كان يذهبون للحَجّ رفقة الأركاب المغربية المختلفة التي كانت تنزل بطرابلس، فكانوا يمتطون رواحلهم برفقتها، مستأنسين بها ومن الحماية الموجودة معها، مستفيدين من وجود العلماء والفقهاء والمشايخ من الحُجَّاج فيها، ولا سيما الركب القادم من فاس، بلد العلم والعلماء[٥]. وبمرور السنين والعقود ومع تزايد عدد الحُجَّاج الليبيين أصبحت أركاب الحج الليبية المرافقة لأركاب الحَجّ المغربية في تزايد، مما استلزم الأمر تجهيز أركاب حَجّ وقوافلَ ليبية مخصوصة بحجاجها، وقد تزامن ذلك مع ظهور هُويَّة الدولة الليبية زمن العثمانيين، متمثلة في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، وازدياد تلك الهُوية تبلورًا وارتساخًا أيام القَرمانلّيين، الذين اشتهروا بتقديسهم لشَعيرة الحَجّ واهتمامهم بها، واحترامهم لحُجَّاج بيت الله الحرام سواء من الليبيين، أو المغاربة الذين يَطَؤُون أرض ليبيا في طريق ذهابهم أو عودتهم من الحَجّ[٦].

لذلك فَمُنذُ أواخر العهد العثماني الأول (١٥٥١-١٧١١م)، مرورًا بالعهد القَرمانلّي (١٧١١-١٨٣٥م) أخذنا نقرأ في كتب الرحلات الحجازية المغربية عن أركاب الحَجّ الليبية الذاهبة إلى الأراضي المقدسة، منها الركب الطرابلسي الذي أشار إليه ابن عبد القادر الفاسي (ت: ١٢١٣ه/١٧٩٨م)، وصَرَّحَ بأنه انطلق في رحلته إلى الحَجّ من مدينة طرابلس المحروسة، يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان المبارك، سنة ١٢١٢ه/١٧٩٨م[٧]. وركب حُجَّاج ابن غازي (بنغازي)، الذين ترافقوا مع الركب الشنقيطي (الموريتاني) -الذي كان به الرحالة البشير البرتلي (ت: ١٢١٤ه/١٧٩٩م)- في ذهابهم وإيَّابهم إلى الحرمين ما بين سنتي ١٢٠٤-١٢٠٥ه/١٧٨٩-١٧٩٠م، وقد قال عنهم البرتلي: "إنهم قوم كرام يحبوننا غاية، ولَنِعْمَ الركب هو"[٨]. وأيضًا الركب الفَزَّاني الذي أُعْجِبَ به الرحالة الورثيلاني (ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)، وجعله يترك ركبه الجزائري وينضم إليه في مصر، عند التقائه به في طريق ذهابهم للحجاز سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م[٩].

وأركاب الحَجّ الليبية هذه سواء انطلقت لوحدها إلى الحجاز أو انضمت مع غيرها من الأركاب المغربية في مَسيرها، فإنها كانت تحتاج إلى عناية لإعدادها وترتيبات لتنظيمها وهذا ما سيكون محور حديثنا فيما يلي.

أولاً: استعدادات الليبيين لأداء فريضة الحَجّ

١/١-استعدادات دينية

فَقُبَيل حلول موسم الحج وفي أثنائه يأخذ خُطَباء المساجد في المدن الليبية التركيز في خُطَب الجمعة على موضوع الحَجّ؛ لتوعية عامة الناس بأهميته وفضله للمسلمين، وتبيان مكانة الحاج عند الله. مُذَكّرين الناس بالأماكن الشريفة التي سيزورها الحُجَّاج في حَجَّتهم. وقد أورد لنا بعض أصحاب الرحلات الحجازية في كتبهم الخبر عن مثل هذه الخطب، التي عَمُرَت بها المساجد الليبية في موسم الحَجّ لتذكير الأهالي وتوعيتهم. فها هو ذا ابن الطيب الشرقي الفاسي (ت: ١١٧١ه/١٧٥٧م)، في رحلته الحجازية عندما نزل في طريقه بطرابلس سنة ١١٣٩ه/١٧٢٦م، صَلَّى جمعته الثانية فيها بجامع التُّرك الأعظم، وكان الخطيب من أبناء طرابلس وهو الشيخ أبو العباس أحمد، الذي "أَبْدَى

خُطبة بالغ فيها في أمر الحاج وعَظَّمَ، مع فصاحة المنطق وانطلاق اللّسان، والإتقان في تحكيم الألفاظ والإحسان"[١٠]. وكذلك ابن عبد القادر -في رحلته الحجازية- عند نزوله بطرابلس سنة ١٢١٢ه/١٧٩٨م، نقل لنا نَصّ خطبة جمعة كان قد ألقاها الشيخ محمود بن باكر أفندي، في المسجد الذي بَنَاهُ يوسف باشا القَرمَانلّي (١٢١٠-١٢٤٦ه/١٧٩٥-١٨٣٠م)، حيث خَطَبَ خُطبةً بَديعةً ضَمّنَهَا فضل الذهاب للحَجّ والإيّاب منه، وذكر فيها الأماكن الشريفة، وذلك بمناسبة عودة الركب المغربي من الحَجّ ونزوله على البلد، وأيضًا لعَزم سَفَر الركب الطَّرابلسيّ للحَجّ[١١].

كما شارك بعض الحُجَّاج المغاربة ولا سيّما العلماء منهم في هذه التوعية الدينية، وذلك عند مرورهم بالمدن الليبية سواء في طريقهم ذهابهم للحَجّ أو عند العودة منه. فَيُخبرنا ابن الطيب الشرقي الفاسي، أنه أَلْقَى خُطبة جمعة في قرية الدفنة من أرض البطنان، وكانت خُطبة حَافلة جَامعة مع قلّة الألفاظ وجَزالة المعاني السَّهلة للحُفَّاظ، ضَمَّنها الكثير من المواعظ واللّوم والإيقاظ من الغفلة، وتذكير الناس بمخاطر الغَيبة والنَّميمة وغير ذلك، كما بسط القول فيها على الانتداب للحَجّ وذكر فضائله، والأحاديث التي وردت عن النبي (ﷺ) في فروضه ونوافله[١٢].

وإلى جانب هذه الخُطَب كانت هناك محاضرات توعوية تفصيلية لمن يريد الحَجَّ من الناس، وكانت غالبًا ما تَردف الصلوات، وفيها تُلْقَى على أسماع الحاضرين دُرُوس عن أركان الحَجّ وموجباته وسُنَنه ومستحباته[١٣]. كما كان للعلماء والفقهاء والمشايخ الليبيين المرافقين لأركاب الحَجّ الليبية دورهم في توعية المقبلين على الحَجّ، فَيَستغلون طُول الرحلة ورتابتها في تعليم الحُجَّاج مناسك الحَجّ وأركانه وواجباته وسُنَنه، ويجيبون على أسئلة المسافرين بما يساعدهم في تأدية شعيرتهم[١٤]. وفي زمن المملكة الليبية (١٩٥١-١٩٦٩م)، أصبح هناك ما يُعرف ببعثة الوعظ والإرشاد، تكون مَهَمَّتَها مرافقة الحُجَّاج الليبيين سواء كان السفر بَرًّا أو بحرًا (بالباخرة)، ويُلْقي أعضاؤها دُرُوس الوعظ والتوجيه للحُجَّاج في أثناء الرحلة وكذلك في الحرم النَّبَوي الشريف[١٥].

١/٢-استعدادات السُّلطة الحاكمة

كان على السُّلطة الحاكمة في ليبيا تجهيز ركب الحَجّ الذي سَيَنْضَمُّ له الحُجَّاج الليبيون من مختلف المدن والقرى والواحات الليبية. وكان من أهم ترتيبات السُّلطة الحاكمة هو اختيار شيخ الركب الذي سيقود قافلة الحُجَّاج. وفي آخر سنيّ العثمانيين في ليبيا كان تنصيب شيخ الركب الليبي يَتُمُّ عبر رسوم معروفة (بروتوكول). ففي عيد الفطر من كل سنة بعدما يُصَلّي الوالي ومعه كبار موظفيه -يتقدمهم رجال الدين والقُضَاة والْمُفْتي- صلاة العيد في الجامع، ينتقل بعدها إلى منزله ليَتَقبَّل التهاني بحلول هذا العيد. وفي هذا اليوم يُنَصَّب شيخ الركب لقيادة قافلة الحُجَّاج التي تتجه إلى الأراضي المقدسة، فَيَتَقَدَّم شيخ الركب المختار صباح أول يوم عيد الفطر من الوالي مباركًا بحلول العيد، فَيَمْنَحَهُ الوالي سَيفًا وفَرسًا وبَرنوسًا أحمر وصرَّة من المال[١٦].

وكان من الضّروري أنْ يَتَّصفَ شَيخُ الركب بعدة صفات تؤهله لتقلّد هذا المنصب والتشريف، فيجب أن يكون من علية القوم[١٧]، شجاعًا مقدامًا، متدينًا، ذا رأي حصيف وإيمان قوي، فكل تلك الصّفات تجعله يتمتع باحترام رفاقه وثقته في القافلة[١٨]. وكان من المعتاد أن يطلق على شيخ الركب اسم أمير الركب[١٩]، ولفظة أمير لها دلالة واضحة على عمق سلطانه على أفراد قافلته، فالأمير من الإمارة وهي الولاية، فهو بمثابة رئيس جمهورية على مواطنيه من الحُجَّاج، فهو الممثل الشرعي المكلف من أعلى سلطة في البلاد، له صلاحيات تامة على رعيته من الحُجَّاج، يحق له معاقبتهم أو توبيخهم إذا انحرف أحدهم أو بعضهم عن جادة الصواب، دون أن يكون على الأمير حرج أو محاسبة من أحد، فلذلك كان الحُجَّاج يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه.

وإلى جانب شيخ الركب كان هناك العديد من المعاونين والمساندين الذين لا يتم تَسيرُ قافلة الحُجَّاج بدونهم. أولهم الدَّال أو الدَّليل، وهو خبير الطريق، ومنفعته هداية الطريق، والدلالة على موارد الماء ومعاطنها، وتجنيب القافلة التَّيه في الصَّحَاري والبَراري[٢٠]. وكذلك العلامون[٢١]، ويكون لهم رايات عالية (أعلام)، ينشرونها وقت الحاجة؛ لتوجيه الحُجَّاج المتأخرين عن الركب -ولاسيما في القوافل الكبيرة التي

تمتد لمسافات طويلة- بحيث يتمكن من كان في آخر القافلة من مشاهدتها، ومن ثَمَّ يَهتدي للوجهة الصحيحة[٢٢]. وكان هناك ضاربو الطُّبُول، فالركب بحاجة إلى وسيلة لمخاطبة أفراده وإشعارهم بأوقات الراحة والنزول، وإعلامهم بمواقيت الصلاة، وموعد الاستيقاظ والرحيل[٢٣]، ولهذا فإن الطُّبُول الكبيرة كانت تُستعمل أداةً لتجميع أهل الركب وإبلاغهم ما هم في حاجة إلى الاستماع إليه[٢٤]، كونه علامة مُتَّفَقًا عليها في ذلك. هذا إلى جانب البَرَّاحين، ومفردها بَرَّاح؛ وهو المكلف بالمناداة وإخبار أهل الركب بما هو مطلوب منهم أو ما يُستجد من أخبار[٢٥].

ولا نَنسى خَدَمَة الركب، وهم المكلفون بأعمال الركب المختلفة، وتشمل طُهَاة الطعام، والورَّادين الموكلين بجلب الماء وسَقْي الركب[٢٦]، وكذلك الجَمَّالون[٢٧] وهم سائسو الجمال، بالإضافة إلى السَّرَّاجين والحَدَّادين والحَمَّالين، وغيرهم[٢٨].

وآخر ما نختتم به حديثنا عن تجهيزات السّلطة الحاكمة لركب الحُجَّاج، هو توفير الحماية اللازمة له من قُطَّاع الطُّرُق والنَّهَّابة واللُّصُوص، الذين قد يترصدون لهم في الطريق، ولا سيما أنَّ طريق الحج في ليبيا في وقت من الأوقات كانت قد كَثُرَت بها ظاهرة تَعَدّي الأعراب على قوافل الحُجَّاج، الأمر الذي كان مَحَلَّ شكوى وتَذَمُّر الحُجَّاج المغاربة المارين بليبيا وغيرهم، مما جعلهم يُدَوّنُونَ ذلك في كتب رحلاتهم، ويَسْدُون النُّصْحَ لمن يرغب في الحَجّ بعدهم، لاجتناب بعض المناطق التي تكثر بها الاعتداءات على الحُجَّاج[٢٩].

فَعَن اللُّصُوصية والسَّرقة كان من ضمن تجهيزات قافلة الحج تنصيب عدد من الخُفَراء (الغُفَراء) عليها، يحافظون على الركب ويُجيرونه من اللُّصُوص[٣٠]. أما فيما يخص قُطَّاع الطُّرق والنَّهَّابة فكان على السُّلطة الحاكمة في ليبيا توفير قوة من الفرسان لحماية ركب الحُجَّاج وتأمين سلامته إلى وصوله للحجاز ثم العودة منها. وإذا كان في ركب الحُجَّاج شخصيات مهمة من الأسرة الحاكمة أو من كبار رجال الدولة فإنَّ قوة حماية الركب تكون أكثر عددًا وأشد قوة بما يُلائم مكانة المرافقين لركب الحُجَّاج وأهميتهم[٣١]. وفي هذا الخصوص يخبرنا الرحالة الورثيلاني عن ركب الحَج الفَزَّاني، الذي كان يحج فيه تلك السنة (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) سلطان إقليم فَزَّان، فكان معه "عسكر عظيم لا يصل إليه الضَّعيف إلا بعد شدة كبيرة وانتظار قَوِيّ"[٣٢].

ولغَرض الحُصُول على الحماية نجد الكثير من الحُجَّاج المغاربة عندما ينزلون في طرابلس للراحة والتزود بالمؤن، يتركون أركابهم وينضمون إلى الركب الطرابلسي إذا رأوا فيه أنه سَيُوَفّر لهم حماية وأمانًا أفضل من أركاب بلدهم التي انطلقوا منها. ومن ذلك ركب الحج الطرابلسي الذي كان حاجًّا فيه آنذاك عبد الرحمن آغا البَديري (١١٣٣-١٢٠٧/١٧٢٠-١٧٩٢م)، تقريبًا سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٨م[٣٣]، صُحبة زَوجه وحاشيته، وكان وقتها سفيرًا لوالي طرابلس (ليبيا) علي باشا القَرمانْلّي (١١٦٨-١٢٠٨هـ/١٧٥١-١٧٩٣م)، فقد انضَمَّ إلى ركبه عدد من الأغنياء والفقراء التابعين لقافلة مراكش عند نزولها في طرابلس، وذلك للاستفادة من حمايته[٣٤]. وكذلك الرحالة الورثيلاني الذي انضم إلى الركب الفَزَّاني؛ لأنه أكثر قوة وحماية من الركب الذي كان فيه وهو الركب الجزائري، وفي الوقت نفسه فإنه رأى السَّفَر مع سُلطان فَزَّان لما ظهر فيه "من الحكم والعدل"[٣٥]. حسب قوله.

١/٣-استعدادات شخصية

لما كانت رحلة الحج بواسطة الأركاب البَرّيَّة والقوافل تستغرق من الحُجَّاج الليبيين حوالي عام كامل ذَهابًا وإيَّابًا قد تزيد أو تنقص، لذلك كان على كل حاج توفير مستلزماته الأساسية بما يكفيه طول مدة الرحلة وفترة الإقامة في الحجاز. كان أولها الملابس واختيار المناسب منها بما يتوافق مع الطقس شتاءً أم صيفًا، وكذلك الملابس المخصصة في أثناء سير القافلة والأخرى عند الوصول للأماكن المقدسة ولا سيما ملابس الإحرام. ولا يعاني الحاج الليبي صعوبة في توفير تلك الملابس، فالذي لا يستطيع نسجه في البيت، يجده متوفرًا في سوق مدينته أو في أسواق أغلب المدن الليبية الساحلية الكبيرة في طريق سَفره، من أمثال أجدابيا وبرقة اللاتين اشتهرتا ببَيع ثياب الصوف والحرير والأكسية الثمينة، وكذلك طرابلس التي كان يصدر منها الصوف المرتفع والطيقان النفوسية الفاخرة من صناعة اليهوديات[٣٦]. لذلك نجد الكثير من الحُجَّاج المغاربة يشترون ملابسهم

من المدن الليبية ولا سيما طرابلس مَحطّ راحة الأركاب المغربية وتَزودها، فليس من الغريب أن نجد العالم والرحالة الشهير أبا سالم العَيَّاشي (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)، يُوَصّي تلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي وهو في بدء طريقه للحَجّ سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، أنْ يشتري ملابسه من جربة أو طرابلس، وإنْ لم يشترها من هناك فَعَليه شراؤها من بلدة سيدي أحمد زروق بمصراتة، وذلك قبل الدخول في أرض برقة الوعرة[٣٧].

وبعد الملابس يأخذ الحاج الليبي في تجهيز زاد الطريق ومَؤونته من الأكل، الذي يغلب عليه مكونان: الشعير والقمح. فمن أشهر أطعمة الحُجَّاج الليبيين التي يُجهزونها للحج منذ القدم حتى أصبحت إرثًا تتوارثه الأجيال إلى يومنا هذا وكأنه ركن من أركان الحج لا يصح بدونها. هي السَّويق الذي يُعرف بـ(الزّمّيتَة أو الزّمّيطة)[٣٨]، التي تُعَدُّ من دقيق الشعير المحمص بالنار المختلط بالملح والبَهَارات المختلفة (الكَمَامين)، وتجهز الوجبة بعد خلط الدقيق بالماء والزيت أو الزبد. كما يجلب الحاج الليبي معه (الرُّوّين أو الرُّوّينة)، وهي شبيهة بالزميتة في أصلها، وإنْ كان في دقيقها المزيد من البَهَار، بالإضافة إلى أنه عند إعدادها للأكل يضاف إليها أحيانًا قطع من البلح، ويخفف قوامها عن الزّمّيتَة بزيادة المياه إليها. ويخبرنا الرحالة الألماني فريدريك هورنمان في رحلته مع الحُجَّاج الليبيين سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م في طريق عودتهم من مصر إلى أوجلة ومُرزق وفَزَّان، أنّ الرُّوّين شَكَّلَت طعامًا دائمًا لهم لعدَّة أيام، وتتضح أهميتها حين ينذر الوقود -الذي تُشْعَلُ به النيران- أو الماء أو يعز الوقت[٣٩].

وإلى جانب دقيق الشعير والقمح يجلب الحُجَّاج معهم (البشماط) المصنوع من الدقيق، وكذلك الخل والحوامض، والرّز والشّعيرية إذا كانا متوافرين في أسواق طرابلس[٤٠]، وأيضًا الكُسْكُسي والبَصل وشَحم الضَّأن والزيت والزبد، ويُضيف الغَنيُّ منهم إلى هذه القائمة الكعك واللَّحم الجاف (الْمُقَدَّد)[٤١]، إلى جانب البقوليات اليابسة من العدس والحمص والفول وغيره[٤٢]. وفيما يخص السّمن والزُّبد والعَسل والشّحم والودك، فالذي لم يأخذ حاجته من الحُجَّاج منها من طرابلس، فلا يأكل همًا فإنها متوافرة دائمًا في برقة وتحديدًا في منطقة الجبل الأخضر ودرنة، وبأرخص الأثمان، الأمر الذي أثار استغراب الكثير من الحُجَّاج المغاربة ودهشتهم[٤٣]، بل نجد أبا سالم العَيَّاشي يوصي تلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي أنْ يَشتريَ من طرابلس من السّمن واللّحم ما يوصله إلى الجبل الأخضر وهي مسافة شهر تقريبًا، وهناك يشتري الكمية التي تكفيه في باقي رحلته، إذ لا يوجد في البلد أرخص من الجبل الأخضر في زمن الخصب[٤٤].

والحال نفسه فيما يخص اللَّحم المجفَّف وهو المعروف بـ(الْقَدّيد)، فهو متوافر بكثرة في برقة، وقد أخبرنا الْعَبْدَري (ت: بعد ٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، بأن عرب برقة يُسَمّونه (الصّفيفُ)، وأنهم قد عرضوا على ركب الحُجَّاج -الذي هو فيه- شراء لحم ظَبْي مُقَدّد[٤٥]. هذا إلى جانب ما يُعمل منه من اللّحوم المعروفة من الضّأن، والماعز، والأبقار، والجمَال[٤٦]. وعلى ما يكون، بعد أن يُجهّز الحاج اللّيبي مَلبسه ومَأكله يأخذ في تجهيز الدَّواب التي سيمتطيها في رحلته، والمعتاد أن تكون من الإبل، لأنها تتحمل وتصبر على مَشاق السَّفر ولا سيما سَفر الصحراء. وقد اشتهرت إبل طرابلس -في أدب الرحلات الحجازية المغربية- كونها أفضل الإبل لأنها أصلب وأصبر وأصح من غيرها[٤٧]، حتى قيل في أمثال الحُجَّاج: "جَمَل طرابلسي وقرْبَة مصرية"، لأنَّ قرَب طرابلس رَديئة الدّباغ[٤٨]. وكان على كل حاج توفير أكثر من دابة للركوب ونقل المتاع وللاستبدال في الطريق، وإلى جانب الإبل كانت البغال تُستخدم أيضًا في طريق الحج كونها أسرع من الجمال، وأفضل امتطاءً في أرض برقة للحُجَّاج القادمين من طرابلس، وتكون لها فائدة عندما يلزم الأمر أن يكون الحاج في عجلة من أمره، مثلاً عند ذهابه لسُقْيَا الماء والمكان بعيد، ويريد أنْ يَسبق إليه، فتكون عونًا له على ذلك دون الإبل[٤٩].

ومن كان ترافقه النساء في حَجَّته فيلزمه الأمر توفير هوادج مُغَطَّاة بمظلات توضع على ظهور الإبل، ولا سيما إذا كانت النساء من علية القوم من الأغنياء أو أصحاب السلطة في الدولة أو من المقربين منهم. ففي تلك الحالة عندما تتوقف قافلة الحَجّ للراحة، تُنقل نساؤهم عادةً إل الخيام، حيث ينتظرهن السجاد وكل وسائل الراحة، وإن كان في معظم أنحاء الصحراء لم يكن بالإمكان استخدام

وسائل الراحة تلك؛ لأنَّ إعدادها يتطلب الكثير من الوقت وظروف رحلة الحَجّ قد لا تسمح بذلك[٥٠]. وفي المقابل قد يحدث أحيانًا أنْ تجدَ من الناس من يَحُجُّ دون أنْ يكون معه أقل قدر من الاستعدادات والمؤونة، معتمدًا على مساعدة الحُجَّاج الآخرين المرافقين له في الركب[٥١].

ثانيًا: الرحلة إلى الحَج

١/٢-الوسائل والطُّرق المستخدمة للذهاب إلى الحَجّ

قد كانت هناك وسيلتان لسَفر الحُجَّاج الليبيين إلى الحجاز، إما عن طريق البَرّ أو البَحر. وفي حقيقة الأمر أنّ أغلب الحُجَّاج الليبيين والمغاربة بصفة عامة كانوا خلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى يُفضلون الطريق البرية، على الرغم من طول الرحلة ومشقتها وكثرة الأخطار فيها؛ وذلك لأن عواقب ركوب البحر لم تكن آمنةً في ذلك الوقت، فَمن ناحية نشاط غارات القراصنة ولُصُوص البحر المسيحيين التي راح ضحيتها الكثير من السُّفُن التي تنقل الحُجَّاج، الذين انتهى أمرهم ما بين غريق أو أسير، ومن ناحية أخرى عدم وفاء بعض أصحاب السُّفُن بتعهداتهم في نقل الحُجَّاج، وهو أمر شائع شُيُوع القَرصنة[٥٢]. هذا إلى جانب بدائيّة تقنية المراكب المستخدمة في السَّفر وعدم أمانها في ذلك الوقت، فكم من مركب ابتلعه الْيَمُّ وهو في الطريق، ومن قرأ رحلة ابن جبير أو رحلة ابن بطوطة اطَّلَعَ على جانب من خطر الأسفار وركوب البحار في تلك العصور[٥٣]. ولنا مثال في رحلة القاضي أبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، إلى الحجاز سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، حيث تَحطَّم بهم المركب وهم في البحر، ووجد ابن العربي نفسه بالقرب من سواحل برقة، فخرج من البحر خروج الميت من القبر، ونزل على بيوتات بني كعب بن سليم على السّاحل الليبي[٥٤].

لذلك كله رغب معظم الحُجَّاج المغاربة خلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى في السّفر عبر البَرّ متحملين مشاقه.

(١/٢) ١-السَّفَرُ بَرًّا:

كان من أهم الطُّرُق البَريَّة التي استخدمها الحُجَّاج المغاربة عامةً والليبيون خاصة للذهاب إلى الحَجّ ما يأتي:

الطريق السّاحليّ الشَّماليّ: انطلاقًا من فاس عبر تلمسَان والجزائر، ثم تونس، إلى أنْ يَتَّصلَ بالطريق السّاحلية من بداية التراب الليبي غربًا، نزولاً إلى طرابلس[٥٥]، وفيها تجتمع أركاب الحَجّ المغربية للتزود بالمؤن. ومن طرابلس يخرج رَكبُ الحَجّ الطرابلسي سواء كان لوحده أو رفقة رَكب مَغربيّ آخر، فَيُواصل طريقه ويمر ببعض المدن والمناطق الساحلية الليبية، أهمها: تاجوراء، ولبدة، وساحل حامد (الأحامد)، وزليتن، ومصراتة، والهايشة (الهيشة)، وقصور حَسَّان، وسرت، والأحمر (وادي الحمر)، والشقة، واليهودية، وأم الغرانق، والمنعم، وأجدابيا، وسلوق[٥٦]. ومن سُلُوق تنقسم الطريق إلى طريقين، كل منهما تستخدمها أركاب الحَجّ، وهي كالآتي:

الطريق الأولى: من سُلُوق تُكْمِلُ مَسيرها عبر السّاحل الليبي بمحاذاة البحر مرورًا بأرض برنيق (ابن غازي = بنغازي)، وبرقة (المرج)، وطلميثة، وسُوسة، ثم عبر البطنان[٥٧]، وصولاً إلى التّميمي، ومنها إلى الغزالة، ودفنة، ثم العقبة الكبيرة، من بعدها العقبة الصغيرة، امتدادًا إلى الإسكندرية[٥٨]، ومنها إلى أرض الحجاز عبر سيناء. وهذه الطريق هي أيسر الطرق وأقلها مَشَقَّة، وأكثرها عُمرانًا واستخدامًا، وكانت معروفة في أساسها من قبل مَجئ المسلمين إلى ليبيا، غير أنَّ ظهورها بشكل معين في موسم دائم من كل سنة لغَرض ديني مستمر قد صبغها بصبغة الْجدَّة وأكسبها طابعًا جديدًا[٥٩]، حتى صار فيما بعد يُعرف بطريق "الحَاج"، أو "الحَاجية"، كما يُسَمّيها أهل ليبيا[٦٠]، نسبة إلى الحاج أو الحَج، متناسين اسمه الذي عرفته به المصادر العربية للجغرافية الإسلامية، وهو "الجادة"[٦١].

والثانية: هي الطريق التي يعرفها الحُجَّاج المغاربة بالسّروال، فَلمَّا تخرج من سُلُوق تبتعد عن الساحل وتنحدر عن يمين الجبل الأخضر، أي إلى جنوبه، مرورًا ببعض المناطق الداخلية مثل الخروبة، ووادي سمالوس، وقصر المخيلف (لَعَلَّهُ المخيلي)، والغزيات. بعدها يعود

الطريق إلى الساحل عند التّميمي[٦٢]، مرورًا بالمناطق التي ذكرناها أعلاه إلى الإسكندرية. وهذه الطريق أكثر مَشَقَّة من الأولى، حيث إنه لما تخرج من سُلُوق لا تجد الماء فيها إلا بعد سبعة أيام إلا ما غادرته الأمطار في قيعان الأرض، وكانت أركاب الحَجّ تلجأ إليه مضطرة أحيانًا، مخافة قطاع الطُّرَق إذا كثروا بالسّاحل عند المرور بحذا الجبل الأخضر[٦٣].

الطريق الصَّحْراوي: منطلقها درعة من أرض المغرب، مرورًا بالتّوات وتديكلت عابرًا الصحراء المغربية، إلى أنْ يصل إلى أرض ليبيا من عند إقليم فَزّان جنوبًا، فَيَمُرُّ عَبره نُزولاً عند بعض مُدُنه وواحاته من أهمها: جرمة، مُرزق، تراغن، زويلة، تمسة، الفقهاء، زَلَّة، ومنها إلى واحة أوجلة جنوب إقليم برقة، امتدادًا إلى واحة سيوة بمصر، وصولاً إلى النيل، ومنه إلى القاهرة عبر الأراضي المصرية، إلى عقبة أيلا -من أرض الأردن- مَحَطّ التقاء الركبان التي بأرض الشام وغزة وغيرها، ثم إلى يَنْبُوع أول الأراضي الحجازية، استمرارًا إلى رابغ -وهو مَحَلُّ إحرام أهل مصر والمغرب الإسلامي- إلى أنْ يَصلَ إلى مَكّة المكرمة[٦٤]. وهذا الطريق كان يستخدمه أهل مُدُن الجنوب الليبي وواحاته وقُرَاه سواء من جهة فَزّان أو جنوب إقليم برقة، فهو مُلتقى لأركاب الحَجّ الليبية الخارجة من تلك المناطق مع أركاب المغرب، والسودان، وبلاد شنقيط (موريتانيا) القادمة من بُلدانها[٦٥].

(١/٢) ٢-السَّفَرُ بحرًا:

أسلفنا الذكر أنّ أغلب الحُجّاج الليبيين والمغاربة بصفة عامة كانوا خلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى يُفَضّلون طريق البَرّ للسفر إلى الحجاز، وذلك لأنَّ عواقب ركوب البحر لم تكن آمنة في ذلك الوقت. غير أنَّ هذا لا يعني أنه لا يوجد من الحُجّاج من كان يَقبل المغامرة مُوَكّلاً أمره إلى الله، ويسافر عبر البحر، اختصارًا للوقت وتَجَنُّبًا لطُول الطريق البَرّيَّة ومَشَقَّتها. ولا سيما أنه كانت هناك خطوط بحرية مُتعَدّدة ومُنْتَظمَة ما بين بلاد المغرب ومصر، منها الخط الذي ذكره أبو عبيد الله البكري (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، خلال القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، الذي تنطلق فيه السُّفُن من الْمَهْدِيّة بتونس إلى ميناء الإسكندرية بمصر، مرورًا بعدَّة مَوانئ ومَراس ليبية، منها ميناء طرابلس، ودرنة، ومَرْسَى تينى، ومَرْسَى الزيتونة، ومَرْسَى عمارة، وصولاً إلى الإسكندرية[٦٦]. وقد يكون هذا الخَطُّ البَحريّ هو نفسه الذي استخدمه ابن العربي في رحلته سالفة الذكر، التي تحطم فيها مركبه في البحر قَبَالة أرض برقة، حيث انطلقت رحلته من المهدية في طريقها إلى الحجاز[٦٧].

كما كان هذا الخَطُّ يُبْحرُ عكسيًا، فقد أخبرتنا وثائق الْجنيزَا عن نشاط الحركة البَحْريّة التي كانت ما بين مصر وطرابلس خلال العصور الإسلامية الوسطى، فَممَّا ذكرته خَبَرَ إبحار أربع سُفُن من الإسكندرية إلى طرابلس في يوم واحد، مرورًا ببعض الموانئ الليبية خلال رحلتها[٦٨]. ومن المؤكد أنَّ الحُجّاج الليبيين والمغاربة -ممن كانوا يرغبون في السفر بحرًا آنذاك- كانوا يستخدمونه عند عودتهم من الحجاز عن طريق مصر، على أنّه من المرجح أنَّ نُزُول السُّفُن في بعض الموانئ والْمَرَاسي اللّيبية قبل وصولها لطرابلس، يكون عند الطّلب والحاجة، وتختلف من سفينة إلى أخرى حسب ظروفها وخط سَيرها المتفق عليه ما بين صاحب السفينة (الرُّبَّان)، والراكبين.

ومهما يكن من الأمر، فإنَّه مع تقدم تقنية صناعة السُّفُن عبر العصور، وهيمنة الأسطول الإسلامي العثماني على البحر المتوسط خلال العصور الحديثة، وحمايته للسفن الإسلامية من بطش القراصنة المسيحيين، كل ذلك ساعد على ازدياد حركة سفر الحُجّاج الليبيين إلى الحجاز عبر البحر، فيخبرنا الورثيلاني -في رحلته الحجازية- عند نزوله بطرابلس، أنَّ جزءًا من ركبه الجزائري كان قد انفصل عن الركب البَرّيّ، وفَضَّلَ ركوب البحر إلى الحجاز، وكانوا أكثر من ثلاثمائة حاج أغلبهم من الفقراء والصَّعاليك، وكان في صُحبتهم عدد من الحُجّاج الليبيين، وذلك تحت الرعاية المباشرة لوالي طرابلس آنذاك علي باشا القرمانلي، الذي أركبهم من غير أنْ تُؤْخَذَ منهم أُجْرَة لوَجْه الله تعالى، وقد انطلقت الرحلة من طرابلس ووصلت إلى الإسكندرية خلال اثني عشر يومًا من الإبحار[٦٩].

وكذلك حسن الفقيه حسن (١١٩٥هـ-ما بعد ١٢٨٣هـ/١٧٨٠-ما بعد ١٨٦٦م)، يُخبرنا في يومياته -في

أواخر العهد القرمانلي وأوائل العهد العثماني الثاني- عن رحلات بَحرية كثيرة ومتعددة كانت تنطلق سنويًا من ميناء طرابلس إلى الإسكندرية وعلى متنها الكثير من الحُجَّاج الليبيين، وما يقابلها من رحلات عكسية عند عودتهم من الأراضي المقدسة، ركوبًا لسُفُن من الإسكندرية إلى طرابلس[٧٠]. وفي هذه الرحلات كانت تُستخدم -إلى جانب السُّفُن (البواخر) التركية- سُفُن من جنسيات أوروبية مختلفة مخصصة للرحلات الحجازية، ففي حَوالي سنة ١٩٠١م، كانت هناك سُفُن إنجليزية مُؤَجَّرة لنقل الحُجَّاج الليبيين بالمئات من طرابلس إلى مكة[٧١].

وفي سنة ١٩١١م وهي آخر سنة من الحكم العثماني لليبيا، يحدثنا محمد الأُسْطَى (١٣١٧-١٤١٠هـ/١٨٩٩-١٩٨٩م)، عن رحلته الحجازية لما كان صغيرًا صُحبة والديه وإخوته، وهي كانت شبه هروب من المعارك الجارية آنذاك بين الإيطاليين من جهة والأتراك والمجاهدين الليبيين من جهة أخرى. وعلى ما يكون، فإنَّ رحلته كانت على ظهر باخرة انطلقت بهم من ميناء طرابلس، مرورًا بعدة مَوانئ ليبية في طريقها لتُنْزِلَ رُكَّابًا ويصعد آخرون وهكذا. وكان خَطُّ سَيرها: الخمس، مصراتة، بنغازي، درنة، طبرق، إلى أنْ تصل الإسكندرية، ومنها إلى حيفا بواسطة باخرة أخرى، ومن حيفا بالقطار إلى المدينة المنورة مرورًا بدَرعة، ثم عَمَّان بالأردن، ومعان، وتبوك، ومدائن صالح، وغيرها من المحطات التي تَوَقَّف بها القطار العُثماني[٧٢].

وعلى ما يكون، فلا يَعني نشاط رحلات الحَجّ الليبية بواسطة السُّفُن خلال العهد العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١م)، أنه قد قَضَى على طريقة الحج بواسطة القوافل البرية، بل على العكس، فإنَّ الحَجَّ برًّا ظَلَّ هو الغالب على هيئة الحَجّ الليبي، واستمر على ذلك إلى حوالي منتصف القرن العشرين، وإن كان قد اسْتُبْدِلَت الجمال والدَّواب فيه بالسيارات الحديثة[٧٣]، ولله الحمد والمنة على نعمة التطور العلمي وما يوفره من راحة وتوفير للوقت والجهد.

٢/٢-مَسير الحُجَّاج إلى الأراضي المقدسة والعودة منها

لما يحل موسم الحَج، وبعد أنْ تُجَهِّز السُّلطة الحاكمة في ليبيا قافلة الحُجَّاج بما يلزمها، ويُنَصَّبُ شيخ الركب أو الأمير لقيادتها، عند ذلك يَتَنَادَى الحُجَّاج الليبيون من مناطقهم وقُرَاهم المختلفة -التي بجوار طرابلس أو جنوبها كجبل نفوسة وغدامس[٧٤] وغيرها- للالتحاق بالقافلة والاجتماع بها، التي تكون معسكرة في وقتها - بقيادة شيخ الركب- في السّهل الرملي لطرابلس خارج أسوار المدينة[٧٥]، غير بعيد عن أماكن نزول الأركاب المغربية الأخرى القاصدة للحَج[٧٦]، التي كانت تَنزل عادةً في الْمَنْشيَّة[٧٧]، وفي حَيّ الزَّرارية وهو المعروف اليوم بحَيّ الظَّهرة[٧٨]. وهناك يُنَظِّمُ الحُجَّاج التابعون لهذه القافلة أنفسهم تحت خيام من كل الأحجام والألوان انتظارًا لموعد السَّفر، ولا شيء يُضَاهي منظر الخيام التي تبدو -في مسافة قليلة- مثل مدينة صغيرة من الألوان[٧٩].

وبعد عدة أيام من انتظار وفود الحُجَّاج القادمين من مناطقهم تتأهب القافلة للمَسير، وسواء خرج الركب الطرابلسي (الليبي) لوحده[٨٠]، أو صُحبة غيره من الأركاب المغربية مكونين قافلة[٨١]، وسواء كانت قيادة هذه القافلة عند أمير الركب الطرابلسي، أو عند أحد أمراء الأركاب المغربية الأخرى المترافقة مع بعضها، فإنّ يوم انطلاق قافلة الحُجَّاج وخروجها من طرابلس يكون يومًا مَشهودًا[٨٢]، مَليئًا بالاحتفالات والأهازيج، وازدحام الْمُشَيّعينَ من أقارب الحُجَّاج وأصدقائهم، الذين يمشون مع القافلة في بعض الأحيان لمسافة أكثر من يوم، من طرابلس إلى منطقة تاجوراء لتوديعهم الوداع الأخير متمنين لهم الحفظ والسّلامة في سفرهم[٨٣].

وتستمر قافلة الحُجَّاج في سَيرها سواء كانت عبر الطريق السّاحليّة الشّماليّة إذا كان رَكْبُ الحُجَّاج من طرابلس، أو على الطريق الصَّحْراوية إذا كان ركب الحُجَّاج من فَزَّان ومن جنوب إقليم برقة. وفي أثناء السير يصدر أمير الحج أمرًا لمن يرغب في الحَجّ من أهالي المناطق التي تمر بها القافلة للالتحاق بها، فَيَستقبل أهالي المدن التي تتوقف عندها القافلة أمير الحَجّ ببهجة بالغة لمكانته الدينية، فَسَعيد الحظ هو من يستطيع تقبيل يده، وإن لم يستطع فَعَبَاءَته. ويَمضي أمير الحَجّ في مَوكب فاخر تصحبه الأعلام والطبول، فيتزاحم الناس لرؤيته، وتتزاحم النِّسْوَة فوق أسطح المنازل التي يمر أمامها موكب أمير الحج لرؤية المنظر

المهيب، مُطلقةً الزغاريد الكثيرة التي تَدُلُّ على البهجة والفرح[٨٤].

وبخُصوص أمير الحَجّ فعندما تَنْضَمُّ لقافلة الحَجّ عدة أركاب من مُدُن ومناطق مختلفة، فَيُصْبِحُ فيها عندئذ أكثر من أمير؛ كل واحد مُكَلَّف على جماعته بطبيعة الحال، وهنا يكون الأمر شورى بينهم -إذا اتفقوا- لاتخاذ القرارات بما يفيد مصلحة الجماعة وسلامة مَسير القافلة. وفي بعض الأحيان تُسَلَّم قيادة القافلة لأحد الأمراء بتنازل وطواعية من أمراء الأركاب الأخرى، وهو مثلما حصل عند الركب الفَزَّاني الذي انضم إلى الركب الموريتاني -الذي كان بصُحبته الرحالة البرتلي- فَعَلَى الرغم من أنَّ حُجَّاجَ الركب الفَزَّانيّ كان أكثر عددًا من الركب الموريتاني، إلا أنهم سَلَّمُوا القيادة لأميره بكل تَواضع ومَحَبَّة، مما كانوا محلَّ احترام البرتلي ومَدحه، مُشيدًا بطيبتهم وأدبهم وتواضعهم[٨٥].

وهكذا يقطع رَكْبُ الحُجَّاج الليبيين -مع غيره من الأركاب المغربية- السَّاحل الليبي كُلَّه من غربه إلى شرقه، مُنضَمًّا إليه كل من رَغبَ في الحَجّ من أهالي المدن والقرى الليبية التي في طريق القافلة، حتى تصل إلى مصر، فيكون حجمها قد تزايد مع طول الطريق وانضمام الحُجَّاج إليها تباعًا، ولا سيما إذا كان مُبتدأ القافلة من فاس أو مراكش، مثل القافلة التي كان بها الركب الطرابلسي الذي حَجَّ فيه عبد الرحمن آغا البديري وأسرته، حيث لَمَّا وصلت إلى مصر كان قد بلغ عدد الإبل التي فيها حوالي الألف، وعدد الحُجَّاج ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف حاج.[٨٦]

وهناك في مصر كان عليهم تَدَبُّر أمرهم في كيفية الوصول إلى الحجاز، فَبَعض حُجَّاج الأركاب -وهم قلَّة- يُفَضّلون طريق البحر من السّويس إلى الحجاز نُزُولاً في ميناء جدَّة[٨٧]، أما بقيتهم فَيُسَافرون مع أركابهم بَرًّا رفقة الركب المصري، الذي ينطلق ومعه كِسْوَة الكعبة المشرفة. وهو أفضل الأركاب وأكثرها تسليحًا ونظامًا، فليس ثمة عراك أو مشاكل أَلْبَتَّه في أثناء الطريق لمحاولة فَرد أو جماعة إحراز السَّبق أو التَّقدم[٨٨]. لهذا نجد الركب المغربي كثيرًا ما يَلْتَحقُ بالرّكْب المصريّ في مَسيره إلى الحجاز، وأحيانًا كان أمير الركب المغربي يُسَلّمُ قيادة ركبه لأمير الركب المصري، مثلما حدث مع ركب الحجّ المغربي سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م، الذي كان به الرحالة ابن مليح السراج (مجهول الوفاة)، وكان معهم ركب الحج الليبي من أهل فَزَّان وأوجلة، ففيه سَلَّمَ أمير الركب المغربي القيادة لأمير الركب المصري، لما رَأى فيه "من العلم والعمل، وكبَر السّن وفَصَاحة اللّسان، وقوة الحزم والضَّبط، والتَّيقظ للأمور"[٨٩].

وفي مَحَلّ التقاء الأركاب المغربية مع الركب المصري في منطقة البركة بالقرب من النيل، تنطلق قافلة الحُجَّاج الكبرى بانطلاق الركب المصري مع من رافقه من الأركاب المغربية على مدة أربعة أيام متواليات، كل يوم مخصص لرَكب، ابتداءً بالركب المصري وانتهاءً بركب المغاربة والتكرور[٩٠]. فَيَعبرون الأراضي المصرية إلى عقبة أيلا -من أرض الأردن- وهي محطٌّ الالتقاء مع الركبان التي بأرض الشام وغزة وغيرها، ثم إلى يَنْبُوع أول الأراضي الحجازية، فيكون دخول قافلة الحُجَّاج إليها بقيادة أمير الركب المصري، في "هيئة عظيمة الفخامة، دالة على عُلُوّ القَدر وسعَة الفَخَامة، ونَشر من الرايات والأعلام ما لا تحيط بوصفه ألسنة الأقلام"[٩١]. وبعدها تستمر قافلة الحج في المسير على أرض الحجاز، مرورًا برابغ -وهو مَحَلّ إحرام أهل مصر وليبيا والمغرب الإسلامي- إلى أنْ تَصلَ إلى مَكَّة المكرمة[٩٢].

وعندها يَنشغل الحُجَّاج بأداء أركان الحَجّ وواجباته بدايةً من طواف القُدوم وانتهاءً بطواف الوداع. وفي العصور الحديثة وتحديدًا زمن العثمانيين، أصبح هناك ما يُعرف بالمطوّفين والمزوّرين، وهم مخصصون لخدمة الحُجَّاج بالأجر. فلا بُدَّ لقاصد الحجاز أن يكون له علاقة معهما ولا يكاد يستغني عنهما، المطوفون بمكة والمزورون بالمدينة. ولا سيما المطوفين ومفردها مُطَوّف، فهو يكاد يكون كالجمل في الحَجّ لا يُستطاع الحَجُّ بدونه، فهو الذي يكفل جميع حاجيات الحاج وأغراضه منذ أنْ يطأ أرض ميناء جدَّة إذا كان السَّفر من البحر، فيحمله إلى مكة ثم إلى عرفة، ثم إلى المزدلفة، ثم إلى منى، ثم يعود به إلى مكة، وإذا أراد الزيادة هَيَّأَ له جميع أسباب السَّفر إلى المدينة وهناك يُسَلّمُهُ إلى المزوّر الذي هو صاحب هذه المصلحة في المدينة لا يتجاوز عليه غيره فيها. وخلال ذلك كله يتحمل المطوف مسؤولية الحاج كاملة، مُوفّرًا له كل ما يَلزمه أو يَطلبه من مَلبس ومَأكل

ومَسكن ووسائل نَقل وعلاج وغيرها من الحوائج التي يحتاجها المسافر الحاج، بما فيها تعليمه جميع أُصُول الحَجّ، وتلقينه جميع الأدعية والكلمات والألفاظ التي ينبغي أنْ تُقَال في تلك الأمكنة المقدسة.[٩٣]

وعلى ما يكون، فقد كان للحُجَّاج اللّيبيين مُطَوفُوهم إسوة بغيرهم، ومع الوقت ومع ازدياد عدد الحُجَّاج الليبيين الوافدين سنويًا للأراضي المقدسة، استلزم الأمر أنْ يكون لهم أكثر من مُطوّف، فكان لطرابلس مُطَوَّفُوها، ومصراتة مُطَوّفُوها[٩٤]، وكذلك بنغازي، وهكذا. ويحدثنا محمد الأُسْطَى في رحلته الحجازية التي كانت ما بين سَنَتَي ١٣٣٠-١٣٣١هـ/١٩١١-١٩١٢م، عن استقبال المطوّف لهم من أول وصولهم لأرض الحجاز بالمدينة المنورة، وهو مُطَوّف ليبيٌّ من عائلة الذَّهبي، نَزَحَ إلى الحجاز وأقام بها وعمل مُطَوّفًا للحُجَّاج اللّيبيين، وقد استقدم لهم عربة، وقَدَّمّ لهم العديد من التسهيلات، إلى جانب ضيافتهم. وكذلك لما دخلوا جدَّة كان في استقبالهم وكيل مُطَوّف الليبيين في مكة، وعندما حلوا بمكة نفسها استقبلهم المطوف وهو الحاج عبد العال سحبان، ليبي الجد والأب، استضافهم وعمل الواجب معهم -سواء هو أو وكلاؤه أو غلمانه- من إعداد السّكن، وتوفير المأكل والمشرب، وتأجير الجمال للمواصلات، وترشيدهم لأركان الحَجّ وفروضه من طَواف، وسَعْي، وعَرفة، ومُنَى...الخ[٩٥].

كما يخبرنا الشيخ محمد عبد الرحمن بن نصر في رحلته الحجازية، عن دور المطوفين مع الحُجَّاج الليبيين والخدمات والتسهيلات الكثيرة التي يقدمونها، فَمن أول ما نزلت بهم الباخرة في ميناء جدَّة كان في استقبالهم وكيل المطوف وهم عائلة الغراب، وعندما وصلوا لمكة كان في استقبالهم المطوف نفسه المخصص لعمل طرابلس، وهو من أبناء الدرويش من آل عابد، لهم قرنان في هذه المهنة، ويُقال إنَّ أُصُولهم من فَزَّان أو من المغرب[٩٦]. وقد أثنى ابن نصر عليهم خير الثناء في طريقة أدائهم لعملهم، فممَّا قاله فيهم: "كان لهم نظام وقيافة ومركز كالملوك، ويخدمون الحُجَّاج بكل ما في وسعهم، ويُقيمون بضيافتهم ومائهم ونورهم وسُكناهم وفراشهم وطَوافهم، ويُعدّون لهم الخيام الحَسَنة بعَرفات ومُنى، فيقيمون فيها خمسة أيام كأنهم بمدينة ولا يفقدون شيئًا مما يلزمهم..."[٩٧]. ولا يكتفي ابن نصر بذلك بل جزاهم وخَلَّدهم ببَيت في قصيدته الدالية عن رحلته الحجازية، بقوله:

مُطَوّفُنَا الدّرويش من آل عابد
وقد بَسَطُوا بالفَضل عَنَّا لهم يَدًا[٩٨]

وهكذا، بعد أنْ يُكْمِلَ الحُجَّاج الليبيون فروض حَجّهم وهم في أحسن حال بمساعدة المطوفين، ينشغلون بعدها بالتَّسوق من أسواق مكة الحافلة بالبضائع المختلفة، ولا سيما تلك القادمة مع قافلة حُجّاج الهند، ففيها بضائع قيمة ومختارة يشتري منها الحُجَّاج من مختلف الأجناس في مكة[٩٩]. فإلى جانب ما يشتريه الحُجَّاج من هدايا لأسرهم ومحبيهم، ولتجارتهم أيضًا، فإنهم يسعون لشراء ما يَلزمهم في طريق عودتهم الطّويلة والشّاقة، وكان من العادة -أيضًا- أنْ يَشتريَ الحاج كَفَنًا له، وهو قطعة كَتَّان رقيقة بيضاء، يَغمسُهَا في ماء زمزم، ويحرص على حملها معه أينما ذهب بحرًا أو بَرًّا، فإذا حان أجله كُفّن فيها[١٠٠].

وبعد استيفاء متطلبات طريق العودة من مَلبس ومَأكل ودَواب وحوائج مختلفة، تنطلق قافلة حُجَّاج المغرب ومصر عائدة إلى مصر، بعد أنْ طاف حُجَّاجهما في اليوم السابق للانطلاق طواف الوداع وعيونهم تفيض دمعًا لمفارقة بيت الله الحرام، متمنين عدم فراقه. وتستغرق الرحلة عادةً أربعين يومًا، تكون قافلة الحَجّ فيها منظمة تنظيمًا دقيقًا لكيلا يتعثر مَسيرها، لاحتوائها على أركاب كثيرة وأجناس مختلفة وحُجَّاج بعَشرات الآلاف إلى جانب الدَّواب. فتكون القافلة مقسمة إلى قُطُر أو قطارات (أركاب)، كل ركب واسمه وعلى رأسه قائد مَسؤول، وأمامه جمل عليه جرسان كبيران: جرس على كل جانب من جانبيه، وثمة جمال أخرى عليها أجراس بعضها حول رقبتها وبعضها الآخر معلقة في أرجلها، فتظل هذه الأجراس تَدُقُّ طوال الليل حيث يكون السَّفَرُ ليلاً معظم الوقت تجنبًا لأشعة الشمس الحارة نهارًا، فيكون لرنين الأجراس صَوت مُحَبَّب بهيج، وفي الوقت نفسه تجعل الجمال نشطة. كما أنهم يُشعلون باللَّيل شُعَلاً مرفوعةً على قضبان لهداية القافلة إلى الطريق، وكان لكل رَكب مشْعَل خَاصّ به

يميزه عن الأركاب الأخرى، حتى يُستدل كل حاج على ركبه من شكل المشعل، حيث يكون حامل المشاعل في مقدمة الركب، وكذلك في النهار تحمل تلك المشاعل من غير نار، لضَمان عدم حدوث ضياع وفوضى مع أعداد الحُجَّاج الغفيرة[١٠١].

وبهذا النظام تصل القافلة إلى مصر (القاهرة)، وعندها تنفصل الأركاب المصرية الكبيرة عن قافلة الحُجَّاج، وتستمر الأركاب المغربية في طريقها عبر الأراضي المصرية إلى أنْ تَصلَ إلى الأرض الليبية، وتَشُقَّ طريقها عبرها، وهنا تأخذ الأركاب الليبية تنفصل تباعًا عن القافلة، كُلّ يَتَّجه إلى وجهته التي يبتغيها. فمثلاً رَكَبُ حُجَّاج أهل فَزَّان انفصل عن الركب الفاسي الذي كان به ابن الطيب الشرقي الفاسي، وذلك في منطقة المنعم – من أرض سرت– حيث توجهوا جنوبًا وأكمل الركب الفاسي طريقه عبر الساحل الليبي[١٠٢]. وكذلك ركب ابن غازي الذي ترافق مع الركب الموريتاني في عودتهم من الحَجّ من عند مصر، وبعد شهر كامل من الصحبة في الطريق، انفصل ركب ابن غازي إلى جهة بلاده، في حين توجه الركب الموريتاني جنوبًا إلى أوجلة، ومنها إلى فَزَّان، وبعدها صَوب بلاده[١٠٣].

والحال نفسه مع الأركاب الليبية في مواصلتها لطريقها عبر ليبيا، فَكُلَّمَا مَرَّ رَكْب بجوار مدينة أو منطقة وكان في الركب حُجَّاج منها، انفصل هؤلاء الحُجَّاج عن الركب في حُضُور غَفير من المستقبلين والمرحبين رجالاً ونساءً، وكانوا عادة ما يستضيفون أهل الركب ويُكرمونهم، ولا سيما إذا وافق حُجّاج الركب على المبيت فيها، متخذينها محطة للنزول والراحة[١٠٤]. وكان ركب الحُجَّاج كلما وصل إلى مَدينة ليبية يدخلها في الغالب باستعراض وأُبَّهة، حيث يكون شيخ الركب في المقدمة يَسبقه عَلَم أخضر، والحُجَّاج من خلفه بالأعلام الخضراء، مع دَقّ الطُّبُول، وإنشاد الحُجَّاج للقصائد الدينية، ورَقص الخيل، في أجواء رائعة، تزيدها بَهجةً وفي الوقت نفسه هَيبةً، الطريقة المؤثرة التي يستقبل بها الأهالي والأصدقاء حُجَّاجهم بعد فراق مدة طويلة، عَدّوهم –خلالها– في حُكْم الموتى إلى أنْ رجعوا[١٠٥].

وتنتهي رحلة الحَجّ بوُصُول ركب الحُجَّاج إلى نقطة انطلاقه سواء كانت من طرابلس أو فَزَّان، أو برقة، فهو بالتالي يعني انتهاء رحلته الحجازية، فَيُسْتَقبَلُ عند ذلك استقبالاً كبيرًا مفرحًا من أهالي الحُجَّاج وجيرانهم وأصدقائهم، الذين من المعتاد أن ينتظرونهم على الطريق جماعات ووفودًا بمسافات كبيرة من قبل أنْ يصلوا إلى المدينة[١٠٦]. كما أنَّ السُّلطة الحاكمة في المنطقة كانت تُحيِي هذا الاستقبال، وتُضْفي عليه صفة الرَّسميَّة وما يُصاحبها من بروتكولات لها هَيبة ووقار بحُضُور الوالي نفسه. وفي هذا الخصوص يحدثنا فريدريك هورنمان عن هيأة استقبال والي مُرزق– التي كانت عاصمة إقليم فَزَّان في ذلك الوقت– لرَكْب حُجَّاج فَزَّان عند عودته من الحَجّ صُحبة القافلة التي كان بها، حيث وجدوا السُّلطان في انتظارهم على الطّريق خارج المدينة، وحَوله حاشيته وأتباعه، جالسًا على أريكة مُغَطَّاة برداء مخطط بالأحمر والأخضر، وكان يرتدي الزَّيَّ الطرابلسي وفوقه قميص مُحَلَّى بالفضة على الطريقة السودانية، ويقف بالقرب منه بعض المماليك البيض والعبيد السود تلمع سيوفهم في أيديهم، وخلفهم ستة عبيد يحملون رايات قديمة. وحسب التقاليد المعتادة يدخل مرافقو قافلة الحُجَّاج وخدمها لمقابلة السلطان بعد أن يخلعوا نعالهم ويمشوا حُفاة إلى أنْ يصلوا إلى حُجرته فَيُقَبّلُوا يَدَيه متمتمين بآيات الشكر والامتنان، ويمروا واحدًا إثر آخر ليجلسوا خلفه، وبعدها يدخل التجار منتظمين في مجموعتين، ثم يدخل شيخ الحُجَّاج تسبقه الطُّبُول وحملة السُّيُوف والرّايات الخضراء، وفي إثره الحُجَّاج مُنشدين يشكرون الله على سلامتهم، ويستمرون في إنشادهم حتى يأذن السُّلطان للشيخ بالانصراف واعدًا إياه بالهَدية السُّلطانيّة من اللَّحم والبَلح لكل خَيمة. وينتهي الاحتفال ويقفل السلطان عائدًا إلى مُرزق تسبقه الطُّبُول ويتقدمه رجاله المسلحون، وترقص الخيول وتثب مغتبطة على جَانبَي الموكب[١٠٧].

أَمَّا عن طرابلس عاصمة البلاد، فلم نقع على معلومات تُفيد كيفية احتفاء السُّلطة الحاكمة بعودة ركب الحُجَّاج سالمًا، وإنْ كان لدينا معلومات عن كيفية استقبالهم لأركاب الحَجّ المغربية عند نزولها في طرابلس في طريق ذهابها، وذلك زمن يوسف باشا القَرمانلّي، ونترك لابن عبد القادر الفاسي وصف الاستقبال لنا قائلاً: "ولما قاربنا البلد [أي طرابلس] رضي الله عنه بعث الباشا

يوسف بن علي بن أحمد... ولده لملاقاة الركب في نحو خمسمائة من الخَيل والرُّمَاة، وجعلوا يلعبون بالبارود حتى دخلنا بمهرجان عظيم، فَلَمّا وَصَلنَا لأقواس الزَّرارية، جعلت المدافع تخرج من أبراج البلد، ونزل الركب بالزَّرارية"[١٠٨]. فإذا كان هذا استقبال دولة يوسف باشا للركب الفاسي وهو ذاهب للحَجّ؛ بمهرجان عظيم من الفُرسان والخُيُول والرُّمَاة والبارود والمدافع، فكيف بالله يكون استقبالهم للركب الطرابلسي عند عودته من الحَجّ، وحُجَّاجُهُ هم أبناء البلد والأولى بالاحتفاء، فَمنَ المؤكد أنه سيكون استقبالاً كبيرًا، أكثر احتفالاً وبهجة واستعراضًا بالخيل والرماة والفرسان، إلى جانب الطبول والمزامير والغناء والإنشاد، والبارود، تصحبه طلقات المدافع من أبراج القلعة مكان إقامة القرمانليين، الذين اشتهروا بحبهم للحُجَّاج واحترامهم وتقديسهم لشَعيرة الحَجّ كما أسلفنا الذكر.

ثالثًا: انعكاسات رحلات الحَجّ وآثارها على المجتمع الليبي

٣/١-فوائد دينية وعلمية

إلى جانب الهدف الرئيس والسّامي من رحلات الحَجّ، وهو أداء فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة قادر عليها، فقد كان لها فوائد أخرى علمية وثقافية كبيرة على المجتمع الليبي. فقد كان لعُبُور قوافل الحَجّ المغربية للأراضي الليبية في طريقها إلى الأراضي المقدسة، وإقامتها ببعض المدن الليبية -للراحة والتزود بالمؤن- لفترات زمنية تمتد من أسبوع إلى عدة أشهر، أثره الكبير على الحياة العلمية والثقافية فيها، وذلك بما يحصل من التقاء بين العلماء والمشايخ المصاحبين لتلك القوافل مع علماء وطلبة العلم في تلك المدن، فتكون لهم مجالس علمية وأدبية مشتركة، فكم من دروس أُعْطِيَت ومراجعات حَصلت وإجازات حُرِّرَت وكُتُب نُسِخَتْ من وراء تلك اللّقاءات. وقد تجلت فوائد الرحلات الحجازية العابرة للأراضي الليبية ومنافعها، في قول أعلم أهل زمانه في ليبيا، اللُّغَوي المعروف الذي فاقت شهرته الآفاق، صاحب كتاب كفاية المتحفظ في اللغة وغيره من المؤلفات، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الأجدابي اللّواتي الطرابلسي (ت: أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، عندما سُئِلَ: "أَنَّى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بَابَيّ هوّارة وزناتة، وهما بابان من أبواب البلد". وهو بهذا يُشير إلى أنه إنما استفاد ما استفاد من العلم بلقَاء من يَفدُ على طرابلس، فَيَدخُلُ من هَذَين البابين من المشرّقين والمغرّبين، حيث لم تكن له رحلة إلى خارج طرابلس، ولَكنَّهُ كان له اعتناء بلقَاء الوفود والقيام بضيافتهم[١٠٩].

وهكذا، ولَمَا كانت تزخر به قوافل الحَجّ المغربية من أعداد غفيرة من الفقهاء والمشايخ والعلماء -لا سيما تلك القادمة من فاس بلد العلم والعلماء- نجد الكثير من طلبة العلم من مُدُن طرابلس ومصراتة وأجدابيا وبنغازي وغيرها التي تقع على طريق الحَجّ، يغتنمون فرصة مرور تلك القوافل، فَيَسْعُون للالتقاء بها والأخذ من علمائها. وبعضهم كان يرافقها إلى الحجاز لأداء فريضة الحَجّ أولاً، ومصاحبة هؤلاء العلماء والأخذ منهم ثانيًا، إلى جانب الاستفادة من المكتبة العلمية المتنقلة التي ترافق المشايخ والعلماء طيلة الرحلة المقدسة[١١٠].

كما كانت قافلة الحَجّ عند مرورها بمصر ذهابًا وإيَّابًا تُوَفّرُ للطلبة والعلماء فرصة الالتقاء بالمشايخ وأعيان المصريين ممن ذاع صيتهم في المشرق، فَيَحْدُثَ بينهم التبادل الثقافي والعلمي. وفي الحَجّ بعد قضاء المناسك يتجدد لقاء العلماء والاختلاط بهم في مكة والمدينة، وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم. وعند عودة المشايخ وطلبة العلم من الحَجّ، كانوا يُحَدّثون عَمَّا رأوه من علماء مكة وينشرون أخبارهم، مما كان يُرَغّبُ غيرهم من طلبة العلم في مدنهم وبُلدانهم أكثر وأكثر في الارتحال إليها. ومن هنا نجد أنَّ رحلة الحج كانت طريقًا لتسهيل عملية الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي، إضافةً إلى معرفة أهم الأحداث والمستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم. كما أنها تساعد على معرفة العلماء شخصيًا بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمؤلفات، إضافةً إلى التحصيل العلمي بمعرفة أفكار علماء مكة وآرائهم، ومن هنا تكمن انعكاسات رحلات الحَجّ على مجتمعات حُجَّاجهَا في المجال الديني والعلمي والثقافي[١١١].

وقد جَنَتْ ليبيا ثمار رحلات الحَجّ وفوائدها العلمية في عودة الكثير من أبنائها من الحجاز مُحَمَّلين بالعلوم

الشرعية وغيرها، وأصبحت مدنها -ولا سيما طرابلس- دار علم بوجود ثُلَّة من العلماء الثقة ممن يؤخذ عنهم. فها هو أول من أدخل مُوَطَّأ الإمام مالك إلى إفريقية وعَرَّفَ به وشَرَحَهُ وبَيَّنَ قواعده هو من أبناء ليبيا، علي بن زياد العبسي، الطرابلسي مَولدًا التونسي مَقامًا. وكانت له رحلة حجازية وهناك سمع من الإمام مالك، وسفيان الثوري (ت: ١٦١هـ/٧٧٧م)، واللَّيث بن سعد (ت: ١٧٤هـ/٧٩٠م) وغيرهم. فابن زياد هو أول من فَسَّرَ قول مالك في بلاد المغرب ولم يكن يعرفونه قبل ذلك، وكان أستاذًا للإمام سحنون (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وهو الذي عَلَّمَهُ الفقه. كما سَمِعَ منه البهلول بن راشد (ت: ١٨٣هـ/٧٩٩م)، وأسد بن الفُرَات (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)، وغيرهم[١١٢].

وإلى جانب ابن زياد كان هناك أيضًا محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي، تلميذ مالك والليث بن سعد، وقد أخذ عنه في طرابلس الإمام أبو عبد الله محمد بن وَضَّاح القرطبي الأندلسي (ت: ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، والإمام أبو سهل فرات بن محمد العبدي القيرواني (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، والإمام بكر بن حماد التيهرتي (ت: ٢٩٦هـ/٩٠٨م)[١١٣]. ومن علماء ليبيا أيضًا علي بن أحمد بن زكريّا بن الخطيب المعروف بابن زكرون الطّرابلسي (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م). صاحب المؤلفات الكثيرة في الفقه والفرائض والشّروط والرّقائق، إلى جانب مؤلفاته في الرجال والحديث، وقد رَوَى عنه أبو الحسن القابسي (ت: ٤٠٢هـ/١٠١١م)، وعبدوس بن محمد الطليطلي الأندلسي (ت: ٣٩٠هـ/٩٩٩م)[١١٤]، كما سمع منه بطرابلس الوليد بن بكر بن مخلد الغَمريّ (ت: ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وهو من أهل سرقسطة بالأندلس[١١٥]. وكذلك أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبيد، الذي لم يكن له رحلة عن بلده طرابلس إلا إلى الحجّ، وقد سمع منه وأخذ الرحالة التّجاني إبان إقامته بطرابلس (حوالي سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م)، وكان يحضر دروسه بانتظام إلى أنْ أجازه أبو فارس إجازة بخَطّه. وقد قال عنه التّجاني: "رجل قد نَالَ من المعارف ما اشتهى، وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فَرَأَيتُ رجلاً متضلعًا من العلم، ذاكرًا بالمذهب ذكرًا لا يجاريه فيه أحد ولا تكاد مسألة تَشُذُّ عنه، حَسَنُ العبارة مُشَارِكًا في علوم جَمَّة"[١١٦].

وهذه عَيِّنة فقط من العلماء الليبيين الذين كانت لهم رحلة للحَجّ -وفي الوقت نفسه لطلب العلم- ألقت بظلالها على المجتمع الليبي، بما تَزوَّدوا به هناك من علوم شرعية، كان لها حضور في الوسط العلمي الليبي، وفائدة على الليبيين وغيرهم من الذين وَفَدوا للأخذ عنهم. وفي الختام، فقد حَقَّقَت الرحلات الحجازية الليبية لَدَى الحاج الليبي وحدة العقيدة، وزيارة بيت الله الحرام، والتعارف واللّقاء، وحَقَّقَت الكثير من المكاسب العلمية والأدبية، والكثير من المحاورة والاطلاع، والاستفادة والاستماع، والأخذ عن الفقهاء والعلماء، وتثبيت السَّنَد والرواية. فَمَا من شَكّ في أنَّ الرحلات الحجازية وتلك السَّفريات الجامعة التي تحفل بالعلم والمعرفة -كانت ولا زالت- تَشْحَذُ العُقُول والوجدان، وتزيد في الفهم والإدراك، وقوة الرواية والسَّماع والأخذ، والاستفادة والإفادة[١١٧].

٢/٣-حركة اقتصادية

إنَّ ليبيا بمُدنها وقُراها وواحاتها تتحول في موسم الحَجّ -بطبيعة الحال- إلى سوق تجارية كبيرة، تظل رائجة لشُهُور عديدة من السنة، تستقبل فيها آلاف الحُجَّاج سنويًا، سواء القادمون من أقاليم المغرب الإسلامي وبلدانه المختلفة في طريقهم إلى الحَجّ، أو الآيبون من الحَجّ وهم في طريق عودتهم إلى بلدانهم وبيوتهم. فطرابلس لوحدها كان يجتمع فيها في موسم الحَجّ "من الركبان الذاهبين والآيبين خمسة أو ستة"[١١٨]. وكان من عادة الأركاب الذاهبة أنْ تُقيمَ بطرابلس قرابة الشهر وبعضها يمكث فيها أكثر من شهرين، وذلك للاستعداد -من خلالها- لدُخُول المفازة التي قَلَّ نظيرها وهي مَفَازة برقة. وبالتالي تنشط حركة التجارة بالمدينة، حيث يَشتري الحُجَّاج منها ما يحتاجون إليه من الإبل وقرَب الماء، ويتخذون زادًا نحوًا من ثلاثة أشهر إلى مصر إنْ كان وقت السَّفر شتاءً، وإن كان صيفًا فنحو من شهرين، وكل ذلك من أسواق طرابلس.[١١٩]

كذلك المدن الليبية الأخرى كانت تستفيد اقتصاديًا من مرور الحُجَّاج بها سواء في إقليم برقة أو فَزَّان، فَكانت قَوافل الحُجَّاج كلما نزلت مدينة أو قرية أو واحة

يستقبلها أهلها بإقامة سوق كبيرة لها؛ لأنهم يعرفون أنَّ الحُجَّاج تلزمهم متطلبات ضرورية عليهم استيفاؤها، من مَلبس ومَأكل ودَواب للرحلة وغيرها من اللَّوازم. ونجد أنّ بعض قوافل الحُجَّاج قبل أنْ تصل إلى بعض المدن الليبية وقُرَاها كانت تُرسَلُ إلى أهلها من الليلة السابقة لوصولهم؛ لكي يستعدوا ويجهزوا بضائعهم وأسواقهم لقافلة الحُجَّاج القادمة إليهم، كما أنه يحدث أحيانًا أنْ تصلَ قافلة الحُجَّاج إلى منطقة ما وأهلها لم يُجَهّزُوا سوقهم بعد، فعند ذلك يطلب الأهالي من الحُجَّاج المبيت عندهم لحين تجهيز سوقهم، وفي اليوم التالي تحدث حركة البيع والشراء فيما بينهم[١٢٠].

وبغَضّ النَّظر عن النشاط الاقتصادي الذي كان يَعُمُّ البلاد جَرَّاء حركة قوافل الحُجَّاج الذاهبة والآيبة فيها، فإنَّ نشاطًا تجاريًا آخر كان يُستجد عليها بممارسة الحُجَّاج أنفسهم للتجارة إلى جانب قيامهم بفريضة الحَجّ. وذلك بما يحملونه معهم من سلَع محلية لبيعها في مصر وغيرها من بلدان المشرق التي في طريقهم وصولاً إلى مكة، وفي المقابل جَلبهم لسلَع مُشتراة من مكة أو مصر وبيعها في ليبيا. ومن غير شك أنَّ كثيرًا من الحُجَّاج كان يستعين بهذه التجارة لسَدّ نفقات الحَجّ، بل والحُصُول على أرباح مُبَاحَة فوقها[١٢١]. وعلى ما يكون، فإنَّه مما شَجَّعَ الحُجَّاج الليبيين على ممارسة تجارتهم الحجازية وساعدهم على ذلك، هو عدم فرض السُّلطة الحاكمة في البلاد لمُكُوس (ضرائب) على قوافل الحُجَّاج بما تحمله من متاع، وذلك احترامًا وتوقيرًا لهم. ونتيجةً لهذه الحَظوة التي اخْتُصَّ بها الحُجَّاج دون غيرهم نجد أنَّ بعض التُّجَّار الليبيين الذاهبين ببضائعهم لمصر وغيرها من بلدان المشرق، يستغلون هذا الترخيص ويقومون بمرافقة قوافل الحُجَّاج عَسَى أنْ تَمُرَّ بضائعهم من غير دفع الضرائب عليها، مما يكون في ذلك مَحَلُّ استياء من السُّلطة الحاكمة في البلاد[١٢٢].

ومن السّلَع التي ذكرتها المصادر، التي كان الحُجَّاج الليبيون ينقلونها معهم في رحلاتهم الحجازية لبَيعها في مصر، الدَّواب التي منها الإبل الطرابلسية[١٢٣]، التي قَلَّ أنْ يوجد لها نظير مما جعلها مَضْرِبَ مَثل للمغاربة كما سبق أن ذكرنا. وكذلك أغنام الجبل الأخضر[١٢٤]، المشهورة بجَودة سلالتها، حتى إنّ "أكثر ذبائح أهل مصر (القاهرة)، والإسكندرية، كان من غَنَم بَرقة، لعظَم خلقها، وكثرة شَحْمهَا ولَذَّة لَحْمهَا"[١٢٥]. وأيضًا معدن الكبريت الذي كان يُستخرج من سبخة مقطع الكبريت – من أرض سرت– ويُحْمَلُ منها إلى الإسكندرية والقاهرة، ويذهب منه مع ركب الحُجَّاج إلى مصر في كل سنة أحمال كثيرة[١٢٦]. وبالإضافة إلى هذا التُّراب الذَّهبي، كانوا يحملون معهم السّكوين البُندقي، والبياستر الفضية، والذُّرَة، والقمح، والفُول، والحَديد، والرَّصَاص، والقُرمز، إلى مكة وغيرها من المدن والأماكن[١٢٧].

وفي المقابل كان الحُجَّاج الليبيون يجلبون معهم من مكة وهم عائدون من الحَجّ الكثير من السّلع، ولا سيما أنَّ الحُجَّاج بصفة عامة، كانوا لما يتموا حَجَّتهم يمكثون في مكة زهاء عشرة أيام أو أكثر، حيث تُعقد هناك سوق كبيرة تُباع فيها كل بضائع الهند، وبضائع الصّين وغيرها من البلاد، وتُعْرَضُ فيها أحجار كريمة تُرَصَّعُ بها الخواتم والأساور...إلخ المجلوبة من اليمن، وكذلك المسك وغيرها من الأشياء الغريبة[١٢٨]. ومن تلك السّوق كان الحُجَّاج الليبيون يجلبون الحرير، وريش النَّعَام، والشَّال، والقهوة العربية، والموسلين والقطن، والأصماغ والمعجنات المصنوعة من الزهر، والمشمش والخوخ المجففان ذو الجودة العالية، واللؤلؤ والألماس بكميات كبيرة في شكل عقود وحُلي مختلفة من جولكندا –إحدى مقاطعات الهند تُدْعَى حاليًا حيدر آباد[١٢٩]. هذا إلى جانب حُليّ النّساء البَسيطة، وخواتمَ من الرَّصَاص والزجاج[١٣٠]. وبتلك البضائع التي جلبها الحُجَّاج من الحجاز نَشطَتْ حركة السُّوق الليبية، بدخول سلَع جديدة مرغوبة لا تعرفها السّوق المحلية، وبالتالي فإنَّ الإقبال عليها كان عاليًا في وقتها وربحها مَضمون، وبذلك يكون الحاج الليبي قد حَقَّقَ هدفًا مزدوجًا من رحلته الحجازية، مَهَمَّة دينية بأدائه فريضة الحَجّ، ومَهَمَّة اقتصادية حَصل من ورائها ربحًا يُغَطّي به نفقات سَفره ويَفيض منه لو أمكن، ولَعَلَّ الدُّعَاء الشَّهير: "حَجّ مَبْرُور، وذَنْب مغفور، وتجارَة لَنْ تَبُور"، يعكس ذلك[١٣١].

٣/٣-زَخَم اجتماعيّ

إنَّ موسمًا عظيمًا كَمَوسم الحَجّ، وحَدَثًا جَليلاً كانطلاق قافلة الحُجَّاج الليبية في رحلتها إلى بيت الله الحرام، في سَفَر طويل ومُتعب محفوف بالأخطار،

يَستغرق قديمًا عند الحُجّاج الليبيين حوالي سنة من الزمان، فإنّه من الطبيعي أنْ يكون لهذا الحدث آثاره الاجتماعية على اللّيبيين، سواء على المستوى الفردي للحُجَّاج المرتبط بالوسط الأُسَري لكل منهم، أو على المستوى الْمُجْتَمَعي المتعلق بالدولة كلها. فالحَجُّ بصفة عامة فيه تهذيب للنفس وكَبح لجماحها، ويساعد على نَبذ الخلاف والفُرقة بين الناس، وفي العصور الإسلامية الأولى كان من يرغب في الذهاب إلى الحَجّ يَعرف أنَّه مُقْبل على طريق طويلة شاقة قد لا يعود منها حَيًّا، لذلك تجد المتأهبين للحَجّ -دائمًا- أكثر تسامحًا مع ذويهم وجيرانهم وأصدقائهم، طالبين منهم السَّماح والغُفران قبل سَفَرهم، والآخرين يطلبون منهم الدُّعَاء في الأماكن المقدسة. وبعد العودة من الحَجّ نجد الحاج أكثر حرصًا على عدم ارتكاب ما يُغْضبُ الله، مُتَوصّيًا بأهله، وَاصلاً رحم أقاربه، مُحبًّا متسامحًا مع جيرانه، وكيف لا، وهو قد غسل ذنوبه ورجع كما ولدته أُمُّهُ نَقيًّا طاهرًا من الذُّنوب والخَطايا.

ومن حيث المقام والوجاهة الاجتماعية في المجتمع، فإنَّ لَقَبَ الحَاج كان ولا يزال عند معظم المسلمين أشرف الألقاب التي يَتَحَلَّى بها صدر أسماء عامة الناس التي تمثل سواد الحُجَّاج، وهو يدل على ما يمتاز به الشخص من صفات الشَّهامة في الشُّبَّان، فإذا أُطْلق لفظ الحَاج على الشاب، فإنها تعني الشَّهم الشُّجَاع، أما إذا لُقّبَ به الشُّيُوخ والكُهُول وكبار السّنّ، فإنما يكون ذلك إشارة على كمال يقينهم ومتانة دينهم، الذي تحملوا في طريقه الأهوال التي تَشيبُ منها الأطفال[١٣٢].

أما عن أُسَر الحُجَّاج وذَويهم فيكونون أكثر فرحًا وبهجةً من الحُجَّاج أنفسهم بهذه المناسبة الدينية السّعيدة، وعندما تحين لحظة انطلاق ركب الحَجّ تجدهم يخرجون أفرادًا وجماعات لتوديع حُجَّاجهم، ويَعزُّ عليهم تركهم في لحظتها، فَتَجدَ الكثيرين منهم يُشَيّعُون قافلة الحَجّ لمسافات بعيدة تَصلُ لأكثر من يَوم في مَسيرها[١٣٣]، ومنهم من يَبيتُ مع حُجَّاجه في أول ليلة عند أول نزول للركب في الطريق، على أنْ يعودوا أدراجهم صباحًا مختتمين عاطفة التوديع[١٣٤]. وبعد انطلاق ركب الحُجَّاج إلى رحلته الحجازية، كان من عادة الأهل تَزيين بَيت الحاج بأقمشة وزينة خاصة تكشف لناظره أنَّ صاحبه -أو أحد أفراد أسرته- يوجد الآن في الأراضي المقدسة[١٣٥]. وقد استمرت هذه العادة إلى وقتنا الحالي، حيث نجد الكثيرين من أهالي الحُجَّاج في ليبيا يضعون رايةً بيضاء في أعلى نقطة في بيت الحاج، أو في شُرفة شُقَّته التي يَقْطُنُ بها إذا كان مقيمًا في عمارة سَكنية مشتركة، وكذلك على واجهة بيته، دلالة على أنَّ لديهم حَاجًّا إلى الأراضي المقدسة، وكل ذلك مَدعَاة للفخر والاحترام، لما تمثله شعيرة الحَجّ من أهمية في حياة الليبيين الاجتماعية، وما تشغله من سلطان روحي كبير في حياتهم الدينية.

وعندما يعود الحُجَّاج من رحلتهم، وبعد علم أهاليهم ومحبيهم بموعد وصول قافلتهم، فإنهم كانوا يخرجون إلى استقبالهم خارج المدينة[١٣٦] كما في التوديع، فمثلاً حُجَّاجُ طرابلس يستقبلهم أهاليهم وإخوانهم خارج المدينة ما بعد تاجوراء شرقًا، حيث تجدهم جماعات وأفواجًا على الطريق[١٣٧]، يتحرقون شَوقًا للقائهم بعد طول غَيبة وانعدام اتّصَال. فَيَستقبلونهم بالطُّبُول والمزامير، ويُقيمون لهم الأفراح والليالي الملاح، بعد أنْ أَعَدُّوا لهم كل ما فيه راحتهم من نَقش الدور وتبييض الجدران، وتجديد ما قدم عهده فيها من بسط أو فرش وغيره[١٣٨]، ولا سيما أنهم سيستقبلون في بيوتهم الضُّيوف القادمين للتهنئة، حيث أنَّ أغلب الحُجَّاج العائدين -ولا سيما المقتدرين منهم- كانوا يعملون وليمة لهذه المناسبة يدعون لها جيرانهم وأقاربهم ومن أَحَبُّوا من الناس[١٣٩].

وكما كانت لعَودة الحُجَّاج -سالمين غانمين- فرحة عند أهاليهم وبهجة في بُيُوت كثيرة، فإنَّ هناك بعض البيوت كان يَعُمُّهَا الحُزن والأسَى عند عودة ركب الحُجَّاج، وذلك عندما لا يجدون حُجَّاجهم من ضمن العائدين، فلا تخلو رحلة حجازية -في المعتاد- من حدوث وفيات من الحُجَّاج، فَمن جَرَّاء طول المسافة ومَشَقَّة السَّفر فإنَّ بعض الحُجَّاج -ولا سيما كبار السّنّ والمرضى- لا تحتمل أجسامهم وعثاء السفر البَرّي الطّويل، المشبع بالتعب والإرهاق وندرة الغذاء وقلة الراحة[١٤٠]، وشُحّ المياه في الطريق ولا سيما إذا كان السفر صيفًا. وبقراءة كتب الرحلات الحجازية والبحث في مضامينها، نجد أنَّ طريق الحَجّ مرصعة جميعها، وعلى طول المدى، بالشهداء الذين أدركتهم الوفاة[١٤١]،

سواء من علية القوم أو من العامة البسطاء، ويحدثنا البرتلي في طريق عودته من الحَجّ أنه نزل بأوجلة وزار بها قبورًا للصالحين، منها قبر سُلطان فَزَّان الشريف السُّلطان أحمد، وهو جَدُّ السُّلطان القائم فيها زمن رحلة البرتلي[١٤٢]. وفي الوقت نفسه حدثنا عن وفاة امرأة من أهل فَزَّان في طريق الذهاب ما بين مصر ومكة، كما تُوُفّيَ عليهم في مكة الشيخ الصالح الورع سيدي محمد الكانم من أهل فَزَّان، وقد صَلُّوا عليه ودَفَنُوه في البقيع رحمة الله عليه[١٤٣]. وأيضًا حسن الفقيه حسن نجده يذكر من ضمن يومياته "خَبَر مسعود بن عامر ونسيبته مسعودة شرتع تَوَفُّوا في بَرّ الحجاز"[١٤٤]. نسأل الله أنْ يتقبل منهم نيَّاتهم ومَقصدهم.

ورغم صَدمة الفُرَاق ومَرارته، فإنَّ أهل المتوفي كان يقل حزنهم عندما يعلمون أنَّ فقيدهم تُوُفّيَ في طريق عودته من الحَجّ أي بعد وقوفه بعَرفات، عكس أنْ يكون تُوُفّيَ في طريق ذهابه، فعند عودته يعني أنه حَقَّقَ مُراده وأنهى آخر أركان إسلامه وهو حَجُّ البيت، فذلك يُخَفّفُ من فَجيعَة الفَقد عند الأهل، بل تتخللها فرحة على الحاج المتوفي واطمئنان على آخرته؛ لأنه بَلَغَ المقصود من الحَج، وكَحَّلَ عينيه برؤية الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود. ولا سيما إذا دُفنَ هناك في مكة أو المدينة، فَشُعُور الأهالي ولسَان حالهم عندها يعكسه القول المغربي السَّائر الذي لا يزال محفوظًا عند العامة: "الذهب الإبريز هو الذي يبقى هناك..."[١٤٥].

أما على صعيد المجتمع ككل، فإنَّه إذا قلنا إنَّ ليبيا بمُدنها وقُراها وواحاتها كانت تتحول في موسم الحَجّ إلى سوق تجارية كبيرة، فإنها في الوقت نفسه كانت تتحول إلى صالون ضيافة واسع، لا ينضب طعامه ولا يملّ أهله من استقبال نازليه. فمن يقرأ كتب الرحلات الحجازية المغربية يأخذه العجب والدهشة من الكرم الحاتمي وحُسن الضيافة التي تَميَّز بها أهالي المدن الليبية وقُرَاها التي في طريق الحَجّ، في استقبالهم لحَجيج بيت الله الحرام الْمُشَرّقين منهم في ذهابهم أو الْمُغَرّبين في إيّابهم. ومن غير المبالغة لو قلنا إنَّ الذي حَصل عليه هؤلاء الحُجَّاج من حَفَاوة الاستقبال في ليبيا لم يجدوه في أيَّ أرض أخرى مَرُّوا بها في طريقهم للحَجّ، حَتَّى في بلدانهم. فتجد ركب الحَجّ لا يكاد يعبر مرحلة أو مرحلتين وينزل في مدينة أو قرية ليبية إلا وضَيَّفُوه أهلها ضيافة حسنة[١٤٦]. فقد كان الليبيون يَستجلبون البركة الإلهية من خلال ضيافة الحُجَّاج وإكرامهم، وما يحصلون عليه من دعواتهم بالخير. فاستقبال الحَجيج وضيافتهم وطلب البركة منهم أخذ مَنْحَى دينيًا مُقَدَّسًا عند الليبيين، فلا غرو أنَّ ذلك كان مَحَلُّ ملاحظة وإكبار من الرحالة البرتلي، وهو يحدثنا عن أهل فَزَّان وحُسن استقبالهم للحُجَّاج وضيافتهم وطلب البركة منهم، فَممَّا قاله فيهم: "وتَلَقّونا بالتّرحيب والبَشَاشة وطلب الدعاء، وضَيَّفُونا جَزاهم الله خيرًا ضيافة حَسنة، وما رأيت منذ خرجت من بلادي إلى الحرمين بلادًا مثل بلاد فَزَّان في الحرص على طلب البركة، والدعاء والتواضع وهضم النفس... ويستوي في هذا الأدب، الكبير منهم والصغير، والحُر والعَبد، والذَّكر والأُنثى. والله إنَّ صبيانهم ليأتي الواحد منهم إلينا ويُطَأْطئ رأسه ويقول اجعل يدك يا سَيّدي على رأسي طلبًا للبركة ويُقَبّلون أيدينا. ولقد سمعت أنَّ هكذا دأبهم مع كل من مَرَّ بهم من الحُجَّاج، فقد سمعنا هذا عنهم من آبائنا وكُبَراء بلادنا ممَّن مَرَّ بهم حَاجًّا من أهل بلادنا وهو متواتر عند أهل بلادنا. ومن توقيرهم للحُجَّاج خروج سُلطان البلد يتلقاهم ويَفرح بهم، ويُضَيّفُوهم الضيافة الحَسَنَة، وأمَّا غير الحَاج فلا يخرج إليهم أبدًا ولو جاؤوا بملْء الأرض ذَهَبًا"[١٤٧].

وهذا الذي كان عند أهل فَزَّان -من استقبال الحُجَّاج وضيافتهم وطلب بركتهم- كان كذلك عند أهالي طرابلس، وبرقة[١٤٨]، وكُتُب الرحلات المغربية وغيرها تفيض ذكرًا وسردًا عن ذلك. وفي هذا الخُصُوص لا نجد -حسب علمنا- منطقة في طريق الحاج سُمّيَت باسم الطعام الذي يَستضيف به أهلها أركاب الحَجّ -سواء في ذهابهم أم إيَّابهم- إلا في ليبيا، وقد بلغت شُهرتها إلى كل من رغب بالحَجّ من أهل بلاد المغرب الإسلامي، فنجد الحُجَّاج المغاربة يسمعون بها أو يقرؤون عنها من كُتُب الرحالة الذين سبقوهم، إلى أنْ يَكتبَ اللهُ لهم الحَجّ فَيَمُرَ ركبهم بها، وينزلوا في ضيافة أهلها، آكلين من الوجبة نفسها التي قرأوا عنها أو سمعوا بها واشْتُهرَ بها مُضَيّفوهم حتى أصبحت اسمًا لبلدتهم. وهذه المنطقة هي قرية صغيرة فيها مقام وزاوية بساحل

حامد أو الأحامد[١٤٩]، التي عَرَفَهَا الحُجَّاج باسم "سيدي بوعصيدة"، لأنَّ الوليّ الصالح الشيخ سيدي بوعصيدة وأبناءه من بعده والمرابطين سُكَّان هذه المنطقة، عُرفوا باسم بوعصيدة واشتهروا به؛ لمَا كانوا يُقَدّمونه للحَجيج من عَصيدة باللّحم[١٥٠].

وقد انفرد ابن عبد القادر الفاسي عَمَّنْ سَبقوه من الرّحّالة -من أمثال ابن ناصر الدرعي[١٥١](ت: ١١٢٩هـ/١٧١٦م)، والحُضَيكي[١٥٢](ت: ١١٨٩هـ/١٧٧٥م)، والورثيلاني[١٥٣]، وابن عبد السّلام النّاصري[١٥٤](ت: ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)- الذين نزلوا ضُيُوفًا مُكرمين على أهل تلك المنطقة، وأكلوا من هذه العَصيدة وغاب عنهم ذكر اسمها، في حين ذكره ابن عبد القادر وسَجّلَهُ لنا في كتاب رحلته الحجازية باسم "البَازين"[١٥٥]. وهو طعام غَنيّ عن التعريف، لا يزال يحتفظ بالاسم نفسه إلى يومنا هذا، ويُعَدُّ من أشهر وجبات الأطعمة وأعرقها عند أهالي إقليم طرابلس وغيرهم، وهي عَصيدة من شعير كانت تُمَثّل الغذاء الرئيس لهم[١٥٦]، حتى أنها تُعَدُّ بالنسبة للحُجَّاج الليبيين وَجبة معتادة سواء في طريق سَفرهم إلى الحَجّ أو عودتهم منه[١٥٧]، أو في أثناء الإقامة هناك.

وإذا كانت هذه معاملة أهالي المدن والقُرَى الليبية مع الغرباء من الحُجَّاج فَمَا بالك مع حُجَّاج بلدهم الذين تمر أركابهم بهم من أقصي انطلاقها من الغرب أو الجنوب الليبي، وقد حدثنا ابن نصر في رحلته الحجازية عن شيء من ذلك، وكيف أنَّ أهالي مدينة مصراتة استضافوا قافلة سيارات الحَجيج الليبي المنطلقة من طرابلس عند مرورها بمدينتهم، وكانوا نحو ٦٥٠ حَاجًا، وأنهم قد أَعَدُّوا لهم البّازين والشَّاي وغيره من وسائل الراحة والمبيت. وتستمر ضيافة قافلتهم -طوال الطريق من الغرب إلى الشرق- في مُدُن ليبيّة أخرى، منها الضيافة التي أَعَدَّهَا لهم تُجَّارُ مصراتة القاطنين في مدينة أجدابيا بذَبْح الأغنام وتجهيز الطعام. وبمجرد دخولهم مصر تحديدًا في مَنْطَقَتَي الضَّبْعَة والحَمَّام، كان الليبيون المهاجرون المقيمون هناك في الموعد، وتجلت مكارمهم في استقبالهم لإخوانهم الحُجَّاج واحتفالهم بهم، وتزويدهم بالمؤن من الشّاي والسُّكَّر واللّحم والخُبز وغيره[١٥٨].

وفي الختام، وبعد كل ما ذكرناه أعلاه، نجد أنَّ مَوسمَ الحَجّ كان عند الليبيين من المواسم المشهودة، له صِبْغَتَهُ الاجتماعية الواضحة على حياة السُّكَّان في البلاد، فَتَظْهَرُ فيه الأخلاق الإسلامية الحميدة لَدَى الأهالي، من السَّخَاء والعَطَاء والكَرم، ويحدث فيه من غير شَكّ التَّكَافُلَ الاجتماعيّ بين الفُقراء والأغنياء. فَبفَضل الحَجّ وقوافله تَتَجَلَّى آيات التَّعاون والتَّلاحُم بين أبناء الوطن الواحد، وتظهر فيه صفات التَّواد والتَّراحم بين الأُسر الليبية، إلى جانب الأخلاق الحميدة التي يستفيدها الحاج من سَفَره وفي أثناء أداء فروض حَجّه، من الإيثار والتَّسامح والصّدق والطَّهارة والنَّقَاء وطيبَ الكلام، فكل ذلك له انعكاساته الإيجابية على حياة الناس ومَعاشهم، وفيه خَيرهم وصَلاحهم بإذن الله، مصْدَاقًا لقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.[١٥٩]

خَاتِمَةٌ

في هذه الدراسة التي تَحَدَّثنا فيها عن بدايات الحَجّ الليبي بُعَيد الفتح العربي، واستمراره خلال العصور الإسلامية وتطوره، وعن كيفية استعدادات الليبيين لاستقبال مَوسم الحَجّ، وآلية تجهيز قوافله وإعداها، والطُّرُق التي استخدموها في الرحلة إلى الحجاز، وهيأة مَسيرهم في أركابَ وقوافلَ، إلى أنْ وصلوا إلى الأماكن المقدسة وقيامهم بأركان الحَجّ وسُنَنه، ثم آيبين في رحلتهم وقد تحقق المراد وحصلت الفائدة، فإلى جانب الهدف الرئيس من الحَجّ في أداء رُكْن أَسَاس من أركان الإسلام، فإنَّ لرحْلَاته انعكاساتها الواضحة على المجتمع الليبي، تجلت في فوائد دينية وعلمية، وحركة اقتصادية، وزَخَم اجتماعيّ، وصبْغَة حياتية ارتبطت بالحَجّ ومَوسمه.

نَتَائِجُ الدِّرَاسَةِ

ومن خلال طرح هذه الموضوعات وتفريعاتها اتَّضَحت لنا بعض النتائج هي كالآتي:

١. عُنيَ الليبيون بشَعيرة الحَجّ منذ وقت مبكر بعد الاستقرار الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي، وتحديدًا منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي،

ويتضح ذلك من بعض أسماء طلبة العلماء الذين حَجُّوا بَيتّ الله الحرام واستقوا العلم الشرعي من مكة والمدينة، الذين كان من أوائلهم وأكثرهم شُهرةً علي بن زياد العبسي الطرابلسي، ومحمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي، وغيرهما. فالأرض والبيئة التي تُخَرِّجُ أمثال هؤلاء العلماء من المهتمين بطلب العلم واستيقائه من مَظانه، لا يُعْدَمُ أهلها اهتمامًا بشعيرة الحَجّ، وبَذْل الغالي والنفيس لأدائها، فمنذ الاستقرار الإسلامي في ليبيا كان لا يخلوا قرن من القرون الإسلامية الأولى والوسطى من رحلات حجازية ليبية، سعى أفرادها للحَجّ نفسه كونه فريضة، أو للاثنين معًا الحَجّ وطلب العلم وتحصيله.

٢. حسب المصادر التاريخية فإنَّ هيئة الركب الليبي وقوافل حُجَّاجهم لم تظهر ملامحها المستقلة إلا في زمن الدولة العثمانية ولا سيما في عهد القرمانليين، حيث إنَّ الحَجَّ في ليبيا سابقًا كان يَدخُلُ ضمن قوافل الحج المغربية وباسمها، ومع أواخر الحكم العثماني تغير الوضع، وازدان بتولي الأسرة القرمانلية لزمام الأمور، الذين أضفوا على حكم ليبيا هُوية خاصة، في ظاهرها عُثماني وفي واقعها حكم مَحلي مستقل له صبغته الليبية. فهذا الوضع ساعد على ظهور ملامح ركب الحج الليبي ومَقامه، ولا سيما مع الاهتمام المتزايد من قبل سلاطين القرمانليين، الذين كانوا يُقَدّسُون شَعيرة الحَجّ، ويُحبون حَجيج بيت الله ويحترمونهم.

٣. قد انعكس احترام القرمانليون لشَعيرة الحَجّ في فتح المجال في المساجد والكتاتيب لإلقاء الدروس وخُطَب الجمعة التي تُشَجِّع عامة الناس على الحَجّ، مُبَيِّنَةً فضائله، مُوَضّحَةً أركانه، شَارحَةً لواجباته. وكذلك في تجهيزهم لقوافل الحَجّ وتوفير الحماية لها قدر المستطاع، إلى جانب الرسوم التي اتَّبَعُوها في الاحتفاء بشيخ الركب وطريقة تنصيبه، وفي احتفالات استقبال الحُجَّاج وتوديعهم، التي أضفوا عليها صبْغَة الدولة وطقوسها الرسمية وما فيها من هَيبة ووَقار.

٤. أنَّ الأيام والأشهر التي تخرج فيها الأركاب الليبية للحَجّ، وغيرها من الأركاب المغربية -النازلة بأرض ليبيا خلال مَسيرها- كانت تُعَدُّ من المواسم المشهودة للتجار وأصحاب الأسواق والحوانيت والباعة المتجولين، وكذلك للصناع والحرفيين، فكل هؤلاء كانوا يستفيدون من مَوسم الحَجّ في ازدهار تجارتهم ونشاط صناعتهم بما يُنْفقَهُ الحُجَّاج من مَال، ومقايضات في اقتناء لوازم السَّفر ومؤونته. ولا نَنسى الحُجَّاج أنفسهم، الذين كان الكثير منهم يستغلون فرصة ذهابهم للحَجّ فَيَسْعون لتحقيق هدف آخر معه، الحَجّ وفي الوقت نفسه التجارة. وذلك بما ينقلونه من سلع محلية لبيعها في مصر وطريق الحج وصولاً إلى مكة، وبما يجلبونه من سلَع خارجية للبيع في ليبيا، فإن في تلك التجارة المباركة فرصةً لتغطية نفقات الحَجّ والحُصُول على ربْح مُبَاح وفَائض لو أمكن لهم ذلك.

٥. مَثَّلت شَعيرة الحَجّ لَدَى عامة الليبيين خلال العصور الإسلامية القديمة والحديثة شيئًا عزيزًا، لها مقام رَوحانيّ مُقَدَّس على أنفسهم، وليس أَدَلُّ على ذلك من فرحة أهالي المدن الليبية وقراها المختلفة بأركاب الحَجّ المختلفة المارة بأراضيهم، وحفاوة استقبالهم لها وضيافتها، وكرمهم الفائض مع حُجَّاج هذه الأركاب، ساعين إلى إرضائهم وطلب الدعاء منهم والحصول على بركتهم، وكَأَنَّ لَدَى هؤلاء الحُجَّاج قُوَى روحانية أضفتها عليهم صفَة الحَجّ والسَّعي لزيارة الأماكن المقدسة الإسلامية.

٦. كان من أهم انعكاسات مَوسم الحَجّ على حياة الليبيين أنها أظهرت مَكَارمَ أخلاقهم وأَصَّلَت فيهم الصّفات الإسلامية الحميدة، التي ظهرت واضحةً وجلية في طريقة تعاملهم مع الحُجَّاج العابرين لبلدهم وتأدبهم معهم، وقد شَهدَ بذلك عشراتُ المغاربة والشَّنَاقطة والأندلسيين من أصحاب الرحلات الحجازية، الذين رأوا فضائل الليبيين وعايشوها بأنفسهم، فَخَلَّدوها في كتب رحلاتهم حتى أصبحت تاريخًا مُشَرّفًا لليبيين الحاليين وفخرًا لهم، ونبراسًا يُهتدى به في تعليم الأجيال الحالية والقادمة الأخلاق الحميدة، التي منها: الكرم، والعطاء، والسَّخَاء، ونَقَاء السَّريرة، وحُبُّ الغَير وإيثاره على النفس، إلى جانب تبجيل الدين الإسلامي باحترام مُعْتَنقيه ومُتَّبعيه وإكرام حُجَّاجه أينما كانوا وأينما حَلُّوا.

الإحالات المرجعية:

(١) **سورة الحج**، الآية (٢٧).

(٢) كانت طريق الحج إلى بيت الله الحرام في السابق كلها مَشَقَّات وأخطارًا، بما كانت تُلْقِيهِ يد الطبيعة في سبيلهم من الشدائد الطبيعية، التي كانت تفتك بالكثير من الحُجَّاج في الطريق من حَرِّ الصيف وجفاف مياه الآبار في طريقهم في الصحاري المحرقة. وكذلك برد الشتاء وما كان يحدث فيه أحيانًا من السُّيُول التي قد تدهم الحُجَّاج في بعض مناطق الطريق. وإلى جانب الطبيعة كان كثيرًا ما تُوقِعُ بهم هجمات أشرار الأعراب وقُطَّاع الطرق = البتنوني، محمد لبيب: **الرحلة الحجازية لِوَالِيِّ النِّعَم الحاج عَبّاس حلمي باشا خديو مصر**، مصر، مطبعة الجمالية، ط٢، ١٣٢٩هـ، ص٣١-٣١١.

(٣) الزاوي، الطّاهر أحمد: **أعلام ليبيا**، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٤م، ص٢٦-٢٦١، ٣٥٦. كذلك الشريف، ناصر الدين محمد: **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، الأردن- لبنان، دار البيارق، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٤-٣٥، ٤١.

(٤) يقول المغاربة في أمثالهم: **"أمّا غَرْقَة إن سِرْتَ [أي مَشَيْتَ] في البحر، وإلّا برقة إن سِرْتَ في البرّ، لكثرة الْمَشَقّة في هَذَين الحالين"** = ابن عابد الفاسي، يوسف بن عابد بن محمد الحسيني الفاسي المغربي: رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت، حَقَّقَ نَصَّهَا وقَدَّم لها وعَلَّق عليها إبراهيم السّامرّائي وعبد الله محمد الحبشي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م، ص٩١. كما قيل على ألْسِنَة العوام: **"غَرقَةٌ أو حَرقَةٌ ولا بَرقَةٌ"**، بمعنى التعرض للحَرقِ أو الغَرقِ أهون من المرور من برقة = الورثيلاني، الحسين بن محمد: الرحلة الورثيلانية الموسومة بنُزْهَة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٨م، ٧١٢/٢. وأيضًا ضَرَبَ المغاربة المثل لمن استطاع أنْ يَعْبُرَ فيافي برقة، وأنَّه أَمْسَى قديرًا لا يستطيع أحد أن ينال منه، فَيَقولون: **"حَجَّ وَجَازَ على بَرْقَة وما بَقِيَتْ فيه مَرْقَة"** = التّازي، عبد الهادي: **ليبيا من خلال رحلة ابن الطّيّب الشّرقيّ الصّميلي الفاسي ١١٣٩-١١٤٠هـ/١٧٢٧-١٧٢٨م**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م، ص٥٥٢، هامش (١٠).

(٥) التازي، عبد الهادي: **بين المغرب وليبيا - ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، ليبيا، المؤسسة العامة للثقافة، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٣١، ١٣٢.

(٦) الْعَيّاشي، أبو سالم عبد الله بن محمد: **الرحلة العَيّاشيّة ١٦٦١-١٦٦٣م**، حقّقها وقدّم لها سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م، مج١/١٧٨. كذلك ابن عبد القَادر الفَاسيّ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد: **رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس**، مخطوط مصور بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم حفظ (١٠٥٤ جغرافيا)، وميكروفيلم (٤٨١١٦)، ورقة ٢١ ب. الورثيلاني: الرحلة، مصدر سابق، ٢٠٩/١-٢١.

(٧) ابن عبد القَادر الفَاسيّ: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١٤٤ أ- ١٤٤ ب.

(٨) البرتلي، محمد البشير بن أبي بكر بن الطالب: **رحلة البرتلي**، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية، تحت رقم حفظ (١٠٥٢ جغرافيا)، ورقة ٦٣-٦٤.

(٩) الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٣٣٧/١-٣٣٨.

(١٠) ابن الطيب الشرقي الفاسي، محمد الطيب بن محمد بن موسى: **رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة**، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار العراب- دار نور حوران، ٢٠١٤م، ص١١٧.

(١١) ابن عبد القادر الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١٣٨ أ.

(١٢) ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٣٥-١٣٦.

(١٣) ابن نصر، محمد عبد الرحمن: **الرحلة الحجازية**، تحقيق عمر حسن القويري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٥م، ص٢٠.

(١٤) ابن نصر: **الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ص٢٠.

(١٥) ابن طاهر المصراتي، الطيب عثمان: **الروض العاطر في تاريخ حياة أبي علي بن طاهر- نصوص التأسيس في السيرة الذاتية في ليبيا**، إصدار نقدي طاهر محمد بن طاهر، مصراتة، منشورات جامعة مصراتة، ط١، ٢٠١٣م، ص١٠٨-١٠٩.

(١٦) ابن موسى، تيسير: **المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية**، طرابلس-تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨م، ص٣٥.

(١٧) عبد الهادي التازي: **بين المغرب وليبيا**، مرجع سابق، ص١٣١.

(١٨) هورنمان، فريدريك: **الرحلة من القاهرة إلى مُرزق عاصمة فزان عام ١٧٩٧م**، تعريب مصطفى محمد جودة، طرابلس، مكتبة الفرجاني، ١٩٦٨م، ص٢٦-٢٧.

(١٩) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٥١٤/٢. كذلك ابن غلبون الطّرابلسي، أبو عبد الله محمد بن خليل: **التّذكار فيمن مَلَكَ طرابلس وما كان بها من الأخيار**، عني بتصحيحه والتعليق عليه الطّاهر أحمد الزّاوي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٨٩.

(٢٠) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٤٩٢/٢. كذلك ابن عبد القَادر الفَاسيّ: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٣٨ ب.

(٢١) العياشي: رحلة، مصدر سابق، ٤٩٢/٢. كذلك ابن عبد القَادر الفَاسيّ: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٤٣ أ، ١٣٥ أ.

(٢٢) الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٢٨٣/١.

(٢٣) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٢٧٠/١. كذلك ابن عبد القَادر الفَاسيّ: رحلة، مصدر سابق، ورقة ٣٥ ب. فريدريك هورنمان: الرحلة، مصدر سابق، ص٢٥.

(٢٤) عبد الهادي التازي: **بين المغرب وليبيا**، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢٥) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٤٩٢/٢.

(٢٦) البرتلي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٢٢. كذلك ابن عبد القَادر الفَاسيّ: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٣٩ ب.

(٢٧) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٤٩٥/٢.

(٢٨) عبد الهادي التازي: **بين المغرب وليبيا**، مرجع سابق، ص١٣١.

(٢٩) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ١٧٧/١، ٢٠٢. كذلك الْعَيّاشي: التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز (الرحلة الصغرى)، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت تصنيف (٢٧٣٩ أو ٢٨٣٩). نقلاً عن عبد السلام، محمد الحراري: **ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي**، الرباط، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٨م، ص٤٠٠. اليوسي،

محمد العياشي بن الحسن: **رحلة اليوسي**، تحقيق أحمد الباهي، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط١، ٢٠١٨م، ص٩٧، ١٠٥، ١٠٦. الْوَزّان، الحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي: **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حَجّي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م، ١١٢/٢. الناصري، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام: **الرحلة الناصرية الكبرى**، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٥٥، ٣٨١، ٨٨٧.

(٣٠) الناصري: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣٢١.

(٣١) الآنسة توللي: **عشرة أعوام في طرابلس**، ترجمة عبد الجليل الطاهر، د. م، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٧م، ص٣١٧.

(٣٢) الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٤٣٢/١.

(٣٣) بازامه، محمد مصطفى: **الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر- عبد الرحمن آغا البديري (١٧٢٠-١٧٩٢م)**، بنغازي، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، د. ت، ص٥٦.

(٣٤) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٧.

(٣٥) الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٣٣٧/١-٣٣٨.

(٣٦) الأحمر، رمضان محمد رمضان: **طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي- تفاعل السياسة مع الأرض والناس**، لندن- القاهرة، الناشرون دارف المحدودة- دار الفرجاني، ط١، ٢٠٢٣م، ص٢٤، ٢٨٢.

(٣٧) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠.

(٣٨) السَّرَّاج، مصطفى فوزي: **ذِكريات وخواطر**، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٥م، ص٣٩٢. كذلك العَوَّامي، **رمضان الصالحين: ثقافة الرحيل**، طرابلس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٥٥.

(٣٩) فريدريك هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٢٩.

(٤٠) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: ليبيا، مرجع سابق، ص٤٠٠-٤٠١.

(٤١) فريدريك هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٢٨.

(٤٢) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٩.

(٤٣) ابن مليح السراج، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي: **أُنس السّاري والسّارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيّد الأعاجم والأعارب (١٠٤٠-١٠٤٢هـ/١٦٣٠-١٦٣٣م)**، حَقّقه وقَدّم له وعلّق عليه محمد الفاسي، فاس، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ١٩٦٨م، ص٣٥-٣٦. كذلك العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٠١/١. اليوسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٠٧. ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٣٢. ابن عبد القادر الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٣٧ أ-ب.

(٤٤) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠١-٤٠٢.

(٤٥) الْعَبْدَري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: **رحلة الْعَبْدَري**، حقّقها وقدّم لها علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٢٠١.

(٤٦) رمضان محمد رمضان الأحمر: **طرابلس الغرب**، مرجع سابق، ص٢٣٣.

(٤٧) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠١.

(٤٨) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٣٥/١. كذلك باختلاف بسيط الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٨٤/١.

(٤٩) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠١.

(٥٠) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٧.

(٥١) فريدريك هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٦٨.

(٥٢) محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٢٧.

(٥٣) الشبيبي، محمد رضا: **رحلة إلى المغرب الأقصى**، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني عشر، ١٩٦٥م، ص٥.

(٥٤) أعراب، سعيد: مع **القاضي أبي بكر بن العربي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ص١٦٢، ١٩٨.

(٥٥) محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٢٩.

(٥٦) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ١٧٨/١-٢٠٠.

(٥٧) الْعَبْدَري: **رحلة**، مصدر سابق، ص٤٨١-٤٨٢. كذلك ابن عبد القادر الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٣٧ أ، ٣٨ ب.

(٥٨) الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠٣.

(٥٩) بَعَيُّو، مصطفى عبد الله: **دراسات في التاريخ اللوبي**، الإسكندرية، مطابع عابدين، د. ت، ص١٨٤.

(٦٠) خشيم، علي فهمي: **الحاجيّة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية**، طرابلس، مجمع اللغة العربية، ط٢، ٢٠٠٨م، ص١٨٤.

(٦١) البَكْرِيّ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز: **الْمُغرِبُ في ذكر بلاد إفريقية والْمَغرب** (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص١٤.

(٦٢) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٢٠٣/١، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٦٣) العياشي: **رحلة**، مصدر سابق، ٢٠٣/١. كذلك الْعَيّاشي: **التعريف والإيجاز**، مصدر سابق. نقلاً عن محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٤٠٢.

(٦٤) ابن مليح السراج: **أُنس السّاري**، مصدر سابق، ص١، ٣٢-٤٧، ٦٩-٧٢، ٧٦.

(٦٥) المصدر نفسه والصفحات. كذلك البرتلي: **رحلة البرتلي**، مصدر سابق، ورقات ٩-٢٣. محمد الحراري عبد السلام: **ليبيا**، مرجع سابق، ص٢٩.

(٦٦) البكري: **المغرب**، مصدر سابق، ص٨٤-٨٥.

(٦٧) ابن العربي، أبو بكر: **ترتيب الرحلة للترغيب في الملة**، تحقيق سعيد أعراب، منشور ضمن كتاب مع القاضي أبي بكر بن العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ص١٩٨.

(68) Goitein, S. D: A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. I: Economic Foundations, University of California Press, 1967, p. 212.

(٦٩) الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٢٠٩/١-٢١٠.

(٧٠) حسن، حسن الفقيه: **اليوميات الليبية**، تحقيق محمد الأُسْطَى وعَمَّار جِحيدر، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط٢، ٢٠٠١م، ٣٠٤/١، ٤٤٩، ٤٥٦، ٥٢٣-٥٢٤، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٧١، ٦٢٩، ٦٣٠.

(٧١) دو ماثيسيو، ه. م: **عبر طرابلس الغرب**، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٦م، ص٥٥.

(٧٢) الأَسْطَى، محمد: **وَرَقات مَطوِيَّة، طرابلس**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٣م، ص٩٥-١١٢.

(٧٣) آخر قوافل الحَجِّ اللّيبي التي وصلنا خبرها كيفما ذكرنا أعلاه، هي قافلة الحَجِّ التي كان بها فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن نصر (١٣١٨-١٤٠٤هـ/١٩٠٠-١٩٨٣م)، التي انطلقت من ليبيا سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، وقتها كانت تدير البلاد الإدارة الإنجليزية عقب هزيمة الإيطاليون في الحرب العالمية الثانية = ابن نصر: **الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ص٣٦، ٣٧، ٣٩.

(٧٤) مروان، محمد عمر: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني (١٢٦١-١٣٣١هـ/١٨٣٥-١٩١٢م)**، طرابلس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٨٢.

(٧٥) تيسير بن موسى: **المجتمع الليبي**، مرجع سابق، ص٢٥.

(٧٦) تُعَدُّ مدينة طرابلس مَجمعًا للأركاب الذاهبة والآتية من المشارق والمغارب إلى حج بيت الله الحرام، التي منها: ركب فاس، وركب مراكش، وركب الجزائر، وركب تونس، وركب الجريد وغيرها. وكان أهل طرابلس يُبالغون في إكرام حُجَّاج تلك الأركاب، ولا يألون جُهدًا في أفضالهم عليهم وأنعامهم = الحشائشي، محمد بن عثمان: **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة ١٨٩٥م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)**، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٥م، ص٥٣-٥٤.

(٧٧) اليُوسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص٩١. كذلك ابن الطيب الشرقي الفاسي، محمد الطيب بن محمد بن موسى: **رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة**، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار العراب- دار نور حوران، ٢٠١٤م، ص٣١٢-٣١٣.

(٧٨) المنالي، أبو محمد عبد المجيد بن علي بن محمد الفاسي الزبادي: **بُلُوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، مخطوط مصور بالخزانة العامة للرباط، تحت رقم حفظ (D١٨٠٨)، ورقة ١١ أ. كذلك ابن عبد القادر الفاسي: رحلة، مصدر سابق، ورقة ١٣٧ أ-ب.

(٧٩) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٨.

(٨٠) ابن عبد القادر: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١٤٣ أ-ب.

(٨١) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٨.

(٨٢) العياشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١/١٧٧.

(٨٣) المصدر نفسه، ١/١٧٨. كذلك ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١١٧-١١٨. الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ١/٢١١-٢١٢.

(٨٤) بتس، جوزيف: **رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة**، ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت. ص22-21.

(٨٥) البرتلي: **رحلة البرتلي**، مصدر سابق، ورقات ١١-١٢.

(٨٦) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣١٧.

(٨٧) منهم ابن عابد الفاسي في رحلته الحجازية، حيث ركب مع جماعة نحو سبعين **"من كل فَجّ عميق"**، حسب قوله للدلالة على اختلاطهم من مراكب مختلفة، وقد وَزَّعَهُم أصحاب النقل ما بين خمسة مراكب للتبرك بهم = ابن عابد الفاسي: رحلة، مصدر سابق، ص١٠١.

(٨٨) جوزيف بتس: **رحلة**، مصدر سابق، ص٢٢.

(٨٩) ابن مليح السراج: **أُنْس السّاري**، مصدر سابق، ص٦٩-٧٠.

(٩٠) ابن الصَّبَّاح الأندلسي، عبد الله: **نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)**، تحقيق جمعة شيخة، منشور في مجلة دراسات تاريخية (عدد خاص)، تونس، المطبعة المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، العددان ٤٥-٤٦، ديسمبر ٢٠١١، ص٤٠١-٤٠٥.

(٩١) ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٩٢) ابن مليح السراج: **أُنْس السّاري**، مصدر سابق، ص٦٩-٧٣، ٧٦.

(٩٣) أرسلان، شكيب: **الارتسامات اللطاف في خَاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، حَرَّرها وقَدَّمَ لها أيمن حجازي، أبو ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ص٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٩٤) المصدر نفسه، ص٩٤.

(٩٥) محمد الأُسْطَى: **ورقات مطوية**، مرجع سابق، ص١١٢، ١٣٠، ١٣٨-١٣٩، ١٥٢.

(٩٦) ابن نصر: **الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ص٦٦، ٦٩-٧٠، ٧٢-٧٣.

(٩٧) المصدر نفسه، ص٧٢-٧٣.

(٩٨) ابن نصر: **الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ص٧٢.

(٩٩) جوزيف بتس: **رحلة**، مصدر سابق، ص٢٢.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص٦٢-٦٣.

(١٠١) جوزيف بتس: **رحلة**، مصدر سابق، ص٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨.

(١٠٢) ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص٣٠٨.

(١٠٣) البرتلي: **رحلة البرتلي**، مصدر سابق، ورقة ٦٣-٦٤، ٦٥.

(١٠٤) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٥٨. ٧٤-٧٥، ٧٧، ٧٩.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص٦٣، ٧٤.

(١٠٦) العياشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ٢/٥٠. كذلك الورثيلاني: **الرحلة**، مصدر سابق، ٢/٧٢١.

(١٠٧) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٨٠-٨١.

(١٠٨) ابن عبد القادر: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ٢١ ب.

(١٠٩) التّجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: **رحلة التّجاني**، قَدَّم لها حسن حسني عبد الوهاب، طرابلس-تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٥م، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(١١٠) عبد الهادي التازي: **بين المغرب وليبيا**، مرجع سابق، ص١٣١.

(١١١) لامعة، زكري: **الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي**، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون، ديسمبر ٢٠١٣م، ص١٥٧، ١٥٨.

(١١٢) القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض السّبتي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمَعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق عبد القادر الصحراوي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، ط٢، ١٩٨٣م، ٣/٨٠.

(١١٣) أبو دبوس، إبراهيم محمد: **الإمام معاوية بن محمد الحضرمي سيرته ومَروِيَّاته**، مجلة أصول الدين، كلية الدعوة وأُصُول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد السادس (عدد خاص)، ديسمبر ٢٠٢٢م، ص٨٥١، ٨٥٣.

(١١٤) ابن فَرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين: **الدّيباج الْمُذْهَب في معرفة أعيان علماء الْمَذْهَب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجَنّان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٦م، ص٢٩٧.

(١١٥) الحُمَيدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي: **جذوة المقتبس في تاريخ ولاة الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري،

القاهرة-بيروت، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٨٩م، ٥٧٦/٢.

(١١٦) التّجاني: **رحلة**، مصدر سابق، ص٢١٩.

(١١٧) بعلي، حفناوي: **موسوعة الرحلات الحجازية - رحلات المغرب الأدنى تونس وليبيا وطرابلس**، عَمَّان، دار الأيام للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م، ص٣١٧.

(١١٨) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٧٨/١.

(١١٩) المصدر نفسه، ١٣٥/١، ١٣٦.

(١٢٠) ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٣١-١٣٢.

(١٢١) مصطفى عبد الله بعيو: **التاريخ اللُّوبي**، مرجع سابق، ص١٨٤.

(١٢٢) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٧٨/١. كذلك فريدريك هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٨. محمد عمر مروان: **مدينة غدامس**، مرجع سابق، ص٣٨٣.

(١٢٣) ابن إسماعيل، عمر علي: **انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥م**، طرابلس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط٢، ٢٠١٢م، ص٤١٢-٤١٣.

(١٢٤) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ٢٠٨/١.

(١٢٥) مجهول، كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص١٤٣.

(١٢٦) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ١٩٨/١. كذلك ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١٢٩.

(١٢٧) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣٢.

(١٢٨) جوزيف بتس: **رحلة**، مصدر سابق، ص٦٢.

(١٢٩) الآنسة توللي: **عشرة أعوام**، مصدر سابق، ص٣٢.

(١٣٠) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣٤.

(١٣١) محمد عمر مروان: **مدينة غدامس**، مرجع سابق، ص٣٨٢.

(١٣٢) محمد لبيب البتنوني: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣١-٣١١.

(١٣٣) محمد عمر مروان: **مدينة غدامس**، مرجع سابق، ص٥٩٨.

(١٣٤) ابن الطيب الشرقي الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ص١١٧-١١٨.

(١٣٥) محمد عمر مروان: **مدينة غدامس**، مرجع سابق، ص٥٩٩.

(١٣٦) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٧٤.

(١٣٧) العيّاشي: **الرحلة**، مصدر سابق، ٥٠٠/٢. كذلك الورثيلاني: **رحلة**، مصدر سابق، ٧٢١/٢.

(١٣٨) محمد لبيب البتنوني: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣١.

(١٣٩) محمد عمر مروان: **مدينة غدامس**، مرجع سابق، ص٥٩٩.

(١٤٠) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣٥.

(١٤١) عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات - مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٥م، ص٣٢٨.

(١٤٢) البرتلي: **رحلة البرتلي**، مصدر سابق، ورقة ٢٢.

(١٤٣) البرتلي: **رحلة البرتلي**، مصدر سابق، ورقة ٦٠.

(١٤٤) حسن الفقيه حسن: **اليوميات الليبية**، مصدر سابق، ٥٥١/١.

(١٤٥) عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات**، مرجع سابق، ص٣٢٨.

(١٤٦) البرتلي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١٠ وما بعدها.

(١٤٧) البرتلي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١١-١٢. كذلك ينظر كيفية استقبال والي مُرزق العُثماني -وهي حاضرة فَزَّان آنذاك- لرَكْب الحَجّ الْمَرَّاكشي حوالي سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م = ابن مليح السراج: أُنْس السّاري، مصدر سابق، ص٣٤. وقارن ما ذكره فريدريك هورنمان من وصف استقبال سُلطان مُرزق أيضًا لقافلة حُجَّاج فَزَّان سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م = هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٨٠-٨١.

(١٤٨) ابن الصَّبَّاح الأندلسي: **نسبة الأخبار**، مصدر سابق، ص٧٢-٧٣.

(١٤٩) بلد بجوار مدينة لُبْدَة، وهو ملاصق لمدينة الخمس، وطوله من الشرق إلى الغرب نحو ١٨كم، وينتهي الذاهب منه إلى الشرق بعين كعام، ومن هناك يدخل أرض زليتن = الطّاهر أحمد الزّاوي: **معجم البلدان الليبية**، طرابلس، مكتبة النور، ط١، ١٩٦٨م، ص١٧٩.

(١٥٠) الورثيلاني: **رحلة**، مصدر سابق، ٢١٩/١، ٧١٧/٢.

(١٥١) ابن ناصر الدَّرْعي، أبو العباس أحمد بن محمد: **الرحلة الناصريّة ١٠٩٠-١٧١٠م**، حقّقها وقدّم لها عبد الحفيظ ملوكي، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ص٢٠٤، ٦٦١.

(١٥٢) الْحُضَيْكي السّوسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الرّحلة الحجازيّة**، ضبط وتعليق عبد العالي لمدبر، الرباط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط١، ٢٠١١م، ص٨٨.

(١٥٣) الورثيلاني: **رحلة**، مصدر سابق، ٢١٩/١، ٧١٧/٢.

(١٥٤) الناصري: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٣٥٦.

(١٥٥) ابن عبد القادر الفاسي: **رحلة**، مصدر سابق، ورقة ١٣٦ ب.

(١٥٦) الْوَزّان: **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ٩٨/٢.

(١٥٧) هورنمان: **الرحلة**، مصدر سابق، ص٢٨.

(١٥٨) ابن نصر: **الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ص٣٨، ٥٠، ٥٨-٥٩.

(١٥٩) **سورة الكهف**، الآية (٣٠).